السنة الرابعة والعشرون العدد ١٢ كانون الاول ١٩٢٦

المشرق

الحفلات اليوبيليّة

بتثبيت القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا من الرهبانيّة اليسوعيّة

الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة

زهرتان عطرتان فغمتا في حديقة الكنيسة الكاثوليكيّة في القسم الثاني من القرن السادس عشر عطرة اولًا تربتها ايطالية وبولونية ثمّ انتشر عرفها بعد ان قطفها الله ونقلهما من رومية الى جنانه حتى تنسّم عبيرهما كافّة العالم المسيحي لاسيما اذ اقامها على مذبح كل الكنيسة البابا بندكتوس الثالث عشر في ٢٦ كانون الاول سنة ١٧٢٦ واعلن بقداستهما السامية فاتخذهما الشبان قدوة فكانت سيرتهما دائماً عظماً حدا بالوف منهم الى ان ينهجوا نهجهما ويضحّوا النفس والنفيس في سبيل البرّ والعيشة الصالحة والكمال المسيحي على مثالهما

ولا عجب ان كرّر الاحبار الرومانيّون الثناء العاطر على هذين القديسين وجعلوهما

لاسيا القديس لويس غونزاغا من شفعاء الناشئة الدارسين ليتعقّبوا آثارهما ويصونوا انفسهم من وباء هذا العالم الغرور

وقد احبّ قداسة امام الاحبار المالك سعيداً البابا بيوس الحادي عشر ان ينتهز فرصة المائة الثانية لتثبيت قداستهما كي يوجّه الى العالم الكاثوليكي براءة اطرأ فيها فضائلهما ثمّ تقدّم بان تقام مراسم بهجة لاكرامهما واوصى كافّة الشبان الكاثوليك بان يقتفوا آثارهما ويحيوا في نفوسهم فضائلهما لينجوا من عثرات هذا الجيل الفاسد ويصونوا كنز البرارة التي انّسموا بسماتها في معموديتهم

وها نحن اجابةً لرغبة ابينا الاقدس نعرض على شبيبة هذه البلاد خلاصة اعمال ذينك القديسين ليستضيئوا بنور رشادهما مباشرةً بشفيع طلبة المدارس الخاصّ القديس لويس غونزاغا

خلاصة

سيرة القديس لويس غونزاغا

انّ من يُلقي النظر الى صورة القديس لويس دي غونزاغا يجدها مزدانةً بثلاثة رموز يُلمّح بها الى ما امتازت به حياة ذلك الشاب السماوي. فتراهُ يمسك باحدى يديه زنبقةً بهيّةً وعند قدميه تاج الامارة والشرف وعيناهُ شاخصتان الى صليب الربّ الذي بيمناهُ: تلك رموز طهارة لويس واحتقاره لشرف العالم واباطيله ثمّ محبّته لربّه ولصليب آلامه

١ الزنبقة رمز طهارة لويس

قال الربّ في سفر الحكمة: ما ابهى الجيل الطاهر فان ذكره يبقى مخلّداً عند الله والناس. على انّ الطهارة وان تكن جميلةً في كل حين فانها ابهى واجمل في سنّ الشباب حين تقوى على الانسان اهواء العالم وشهوات النفس ويسعى عدوّ جنسه بان يسلبهُ ذلك الكنز الملائكي. ولقد اقرّ احد زعماء الفتن والشرور جان جاك روسو بانهُ لا يعلم بوجود شيء اعظم جمالاً وابهى منظراً من شاب بارّ طاهر الذيل نقيّ القلب

وقد اتّفق كتبة سيرة القديس لويس غونزاغا انهُ بلغ بطهارته مبلغاً قلّ من بلغهُ مثلهُ في درجته

﴿مولد لويس﴾ ولد لويس في ٩ آذار سنة ١٥٦٨ . وبعناية تعالى تقدَّم ميلادهُ الروحيُّ بالعماد في احشاء والدتهِ على ميلاده الطبيعي فعُدَّ ذلك كفاتحة لحياته الطاهرة المقدَّسة . كان مولدهُ في قصر كاستيليونة التي كان والدهُ فرديناندو مركيزاً عليها وهو يُمِتُّ بالقرابة الى معظم اشراف ايطالية واسبانية وفرنسة لانتشار اسرة غونزاغا في انحاء اوربّة

ولم تكن أُمّهُ مرتا دون زوجها شرفاً إلّا ان تقاها كان يفوق على شرفها . فما كاد يولد بكرها لويس حتى رسمت عليه اشارة الصليب وباركتهُ وقدَّمتهُ لوالدتهِ الطاهرة وقد عمَّ الفرح سائر اهل المدينة فقُرعت الاجراس وأُطلقت المدافع وتزاحم الشعب في الكنائس ليشكروهُ تعالى على ولادة وريث لاميرهم كما تقاطر الاعيان الى قصر والده ليهنئوهُ بنجله

على ان حياة المولود كانت في اوّل بروزه للوجود معرَّضة لخطر الموت إلّا انَّ هذا الخوف زال تماماً مذ نذرت أُمّهُ ان تحجَّ الى زيارة بيت العذراء وكنيستها الشهيرة في مدينة لوريت

﴿صبا لويس﴾ قضى لويس صباهُ في حجر والدتهِ التقيّة اذ كان والدهُ منهمكاً باشغال الامارة ثمَّ بخدمة الملك فيلبُّس الثاني ملك اسبانية الذي ارسلهُ مع جيشهِ لمحاربة الاتراك في تونس

فنشأ لويس مشغولاً بنظر والدتهِ الصالحة التي اسرعت فطبعت في قلب بكرها حبَّ الله ووالدتهِ البتول ولُقّنهُ مذ تحرُّك لسانهِ اللهجة باسمَي يسوع ومريم والارتسام باشارة الصليب . وكأنَّ الطفل مذ ذاك الحين ادرك شيئاً من امور الدين فكان يُقبل على ارشادات امهِ بكل رضى فتُمان المركيزة أنَّها ترى في ولدها صورة ملاك لا بشر

ما كاد يبلغ لويس الخامسة من عمره حتى كان يعتزل عن اهل البيت وينفرد في زاوية امام صورة العذراء فيجثو على ركبتيهِ ويضمُّ يديهِ الصغيرتين فيصلي دون حراك كأنَّهُ من عالم الارواح

﴿الجندي الصغير﴾ على انَّ والدهُ عاد في تلك الاثناء ولم يستصوب ما آنسهُ من تقى لويس وهو يريد أن يخلفهُ يوماً في مناصب الجنديّة . ومن ثمَّ ابعدهُ من القصر والبسهُ بزَّةً عسكريّةً فاخرة وجعلهُ في حراسة احد ضبَّاطهِ بين جنودهِ في بلدة كازال

من اعمال ميلانو فكان الولد يمشي مع الجند ويتقلد حركاتهم ويسير في مقدمتهم كالقائد امام فرقته. فسُرُّوا به اي سرور ثم خالطوه واختلط بهم وسمع منهم ألفاظًا بذيّة لم يدرك معناها فردّدها بسذاجة الاطفال. ولما لامهُ الضابط وكيلهُ على التلفظ بها امتعض لذلك وبكى على فعلهِ بقيّة عمره كانهُ أتى اثمًا كبيرًا

ثمَّ رأى الجند يطلقون البنادق فاراد ان يحذو حذوهم فاخذ بالسرّ قليلًا من البارود من جبخانة احد الجند وحشا بهِ بندقيَّةً فانفجرت بين يديهِ وكادت تذهب بحياتهِ لولا نعمةٌ من الله. فكان ذلك الاثمُ الثاني الكبير الذي اقترفهُ في حياتهِ وندم عليهِ ندامة كبار المذنبين على خطاياهم

﴿ربيب البتول﴾ عاد لويس الى قصر والدهِ فالتمست نفسهُ بقرب والدتهِ وحوّل قلبهُ ثانيةً الى امور الروح بينما كان اخوهُ رودلفوس يتلهّى بملاهي الصبا. واذ سمع والدتهُ تقول يومًا: «من لي ان ارى احد اولادي مكرّسًا لخدمة الله» التفت اليها لويس وهو في السابعة من عمرهِ فقال: «ثقي يا أمّاه فاني انا المختار لهذا الشرف»

أُرسل لويس الى فلورنسة مع اخيهِ ليتخرّج هناك مع اشراف وطنهِ بالآداب المدرسيّة فسكن في بلاط الدوق فرنسوا دي مديشيس. ثم انكبَّ على الدروس بكل رغبة وما لبث ان احرز بذكائهِ كل تعاليم اساتذتهِ. فكان يأخذهم العجب من توقُّد ذهنهِ ونشاطهِ. ولا غرو فانَّ لويس صرف كل فكره للدروس وحاد عن ملاهي البلاط والالعاب الجارية فيهِ

ومع [illegible] على الدرس كان يزداد تُقى وعبادةً وقد وجد في مدينة فلورنسة ما يحدوه [illegible] من آثار دينيَّة جليلة وكنائس فخمة البناء واديرة فاخرة وفنون جميلة [illegible] وقد احبَّ لويس التردُّد على كنيسة شهيرة هناك قديمة العهد في اسم "[illegible]" تُكرَم فيها صورة عجائبية شُغف لويس بنظرها وشعر في باطنهِ في احد الايام ما يدفعهُ الى ان يقدّم لها اجزّ تقدمة لديها فنذر امامها البتوليَّة الدائمة. فرضيت العذراء بتلك الهديَّة الثمينة وأثابتهُ عليها بان حببت اليهِ الطهارة وصانتهُ قلبهُ من كل الشهوات البدنيَّة حتى اخمدتها فقضى حياتهُ كملاكٍ متقمّص بجسم بشري

﴿سياج الزنبقة﴾ انَّ هذه النعمة الفريدة التي نالها لويس ولم يحظ بها الَّا قليل من اولياء الله اراد ان يصونها صيانتهُ لأعظم كنوز العالم فاحاط تلك الزنبقة البهيَّة

بسياج من اشواك الاماتة والتقشفات ردّ بها كلّ هجمات العدوّ الباطن والخارج. وكان اوّل ما توسّل اليه لحفظ طهارته إماتة حواسّه فكان حيثما سار يُرى محتشماً غاضّاً بصرهُ عن كل منظر مُريب. وبلغ في ذلك مبلغاً عجيباً حتى انهُ كان لم يشأ ان يُحدق بعينه الى وجه امرأة البتّة. ولمّا صار فيما بعد في خدمة ملكة اسبانية في مدريد بقي سنتين دون ان يعرف صورتها. بل كان يحوّل نظرهُ من المربّية امه نفسها تصوّناً وتعفّفاً. كما انهُ كان لا يدع الخدم يدخلون اليه عند نهوضه من الفراش ولبسه ثيابه

ومما ألفهُ لويس لحفظ طهارته ضروب التقشّفات فكان يجرّد من كلّ ما ينعّم الجسد من أكل وشرب ولبس وراحة. فكان وهو في ربيع الحياة لا يكاد يغذي جسدهُ بغير القوت الطفيف حتى عُدّت حياتهُ صوماً متواصلاً وربّما اكتفى طول يومه بالخبز والماء. وكان لا يرقد على فراش ناعم بل يدسّ في فراشه حصى وقطع من الاخشاب ليقهر جسمهُ في نومه وكثيراً ما نام على وجه الحضيض

وكان في لبسه يتأفّف من كل بهرجة وجاه باطل ويفضّل أبسط الملابس وأذلّها. وكان يتمنطق بزنّار حديدي ذي مسامير مشوكة ويلبس المسح ويجلد جسدهُ بقساوة شديدة حتى يسيل دمهُ على الارض

فذلك كان السياج الذي اتخذهُ ابن امراء غونزاغا فصان به طهارته العجيبة بين مفاسد العالم الشرّير حتى يجوز القول انهُ لم ينله من وبائه دنسة واحدة

ولمّا اراد في السنة التاسعة من عمره ان يعترف اعترافاً عامّاً عن حياته الى احد الآباء اليسوعيين كان لم يجد بعد الفحص الطويل إلّا بعض صغائر الاثم التي لا يكاد غيرهُ يعبأ بها فاعترف بها مذرفاً الدموع السخينة كأنهُ اكبر الخطأة

﴿نضارة الزنبقة ورواؤها﴾ لم يكتف لويس غونزاغا بأن يقتل في قلبه روح العالم وينفي عن نفسه كلّ شوائبه بل عرف من اين يستمدّ له القوّة ليزيد طهراً وبرارة. وما ذلك إلّا بثابرته على الصلاة. فكان لا يقضي يوماً ألّا ويستحرّ بمناجاة ربه إمّا منفرداً وامّا قائماً في بعض الكنائس. وكثيراً ما كان ينهض ليلاً بأخفّ الملابس ويحيي الليل بالصلاة مع ما يشعر به من برد الشتاء القارس

ولمّا قُضي عليه ان يتنقّل الى حواضر مدن ايطالية واسبانية فيختلط هناك بشبيبة الاشراف الذين كانوا يتهافتون الى النوادي الحافلة والمشاهد الفتّانة المطربة والمآدب

الفاخرة والمناورات العجيبة كان لويس يتوارى خفيةً ويتروى في حجرته فيقضي الساعات الطويلة في مناجاة الله · وكان اذا شرد فكرهُ في صلاته أطالها الى أن تمرَّ عليه ساعةٌ تامةٌ دون شتات · فكان يخرج من صلاته برغبةٍ اعظم في العيشة الفضلى

أفمن العجب بعد ذلك ان تصمت تلك الزنبقة البهيَّة فاشبه لويس بطهارته ملائكة الله

وقد زاد حبُّهُ لتلك الفضيلة السماويَّة لمَّا دُعي الى التقرُّب من خبز الملائكة لاوَّل مرَّة وذلك في الثالثة عشرة من عمره اذ لم تسنح له الفرصة للحظوة بهذه النعمة قبل ذلك · وقد تمَّ الامر في بلاط والده اذ مرَّ هناك القديس الكبير الكردينال كرلوس بوروماوس رئيس اساقفة ميلانو ومنحهُ بقبلة الحب في سرّ ِ العظيم · فحدِّث ولا حرج بما ناله من التعزية والسلوان فتحقَّق فيه قول الربّ : طوبى لطاهري القلوب فانهم يعاينون الله · فلم يبرح ذكر هذه النعمة من باله وكان كلَّما يتقرَّب من المنّ السماوي يذوب قلبهُ حبًا وتسمو طهارتهُ سطوعاً

ومن مفاعيل تلك الطهارة انَّها قشعت عن ذهنه ظلام الجهل فكان بصفاء عقله يدرك المسائل العويصة من الفلسفة والرياضيَّات التي كان يتلقَّنها من اساتذته بكل سرعة حتى نال فيها في مدينة مدريد قصبة السباق على اقرانه

ولا يظنَّنَّ احد انَّ عيشة لويس القشفة وحياته الشظفة كانت تؤثر في معاملاته وتصرُّفه مع القريب فيانسبونهُ الى شراسة الاخلاق والخشونة والجفاء · بل كان على خلاف ذلك انيساً لطيف العاشرة دمث الاخلاق يحبُّ الجميع التقرُّب اليه لحسن طباعه وسموّ حكمته · وكان الشبان الرابة خصوصاً اذا حادثوهُ شعروا بنا بجاذبهم على مثاله الى الطهر والقداسة

٢ تاج الامارة رمز احتقار لويس لمجد العالم

سبق لنا تاج الامارة مرسوم عند اقدام لويس في صورهِ وما ذلك إلَّا رمزٌ محسوس لازدرائه بشرف العالم ومجده الباطل

﴿مقام لويس في العالم﴾ كان لويس من حيث حقوق بكوريَّته مرشَّحاً للامارة بعد والده لا يمكنهُ ان يتخلَّى من حقوقه دون مراجعة ملك اسبانية الذي كانت امارة كاستيليونة من اقطاعاته · فكان اذن تاج الامارة معدًّا ليزين هامته · وكانت تلك

الامارة غنيةً بالاملاك واسعة الثروة. وكانت وراثة اعمامهِ هي ايضاً عائدة اليهِ. فما كان مع هذا ينقصهُ شيء من جاه العالم ومفاخرهِ

لولا انَّ لويس نظر الى تلك العظمة والمقام الرفيع بعين العاقل الحكيم ووزنها بِزنة الفهيم البصير معارضاً لها بجزاء الآخرة ومجدها الابدي فصرخ: «ما هذا بالنسبة الى الابديّة» وجعل هذه الكلمة شعارهُ ومن ثمَّ قصد ان يتخلّى عن حقوقهِ ويتفرغ لخدمة الله وحدهُ في الرهبانيَّة. واذ كشف عن غايتهِ لأمهِ الفاضلة شكرت الله على ما ألهم ابنها القديس وتمنّت ان يتمّ له ذلك كما يشاء.

﴿دفاع لويس عن دعوتهِ﴾ قال الربُّ (متى ١١: ١٢): ان ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونهُ. فكان لويس احد اولئك الغاصبين. فانهُ لمّا شعر بدعوة الله الى الترهّب واعلن بنيّتهِ للسيّد فرديناندو والدهِ انتشبت بينهما حرب عوان دامت اربع سنوات. فانَّ والدهُ لمّا سمع بما اخبرهُ ابنهُ عن دعوتهِ طردهُ من امامهِ واكّد له انهُ ان ينال مطلقاً الرخصة بهجران امارتهِ. كيف لا وهو قد عرف ما لابنهِ من الخصال الحميدة والسجايا الفريدة أفيرضى ان يتخلى عنهُ؟ ومن ثمَّ صمّم العزم على مقاومتهِ بكل قواه.

لكن لويس لم ييأس من الفوز برغوبهِ واخذ يلتجئ الى السماء لتُلك الاغلالـة وضاعف صلواتهِ وضروب تقشفاتهِ وعاد غير مرَّة الى والدهِ يثبت له انَّ الله داعيهِ الى الترهّب ولا بُدَّ له ان يلبّي صوت ربهِ. اما ابوهُ فلم يرعوِ فكان يستقبلهُ تارةً بالوعد وحيناً بالوعيد ثمَّ توسّل بكل الوسائل ليصرف ابنهُ عن فكرهِ. فكان يرسلهُ في مهمّات ولايتهِ و... بالسكنى في قصور الملوك لعلهُ يبهر بزخارفها الّا انَّ لويس بعد قضاء ... كان يعود اليهِ ويذكّرهُ بمواعيدهِ دون ان ... يرضاهُ حتى انهُ في آخر ... مرّة بتاتاً فقال له لويس قبل وداعهِ: اعلم سيّدي بأنك بتنكرانك عليَّ ... ارادة الله الذي يدعوني الى الرهبانيَّة فانت مسؤول امامه بعنادك

قال هذا وخرج لويس من وجهِ والدهِ ودخل مخدعهُ وتجرّد عن ثيابهِ الى وسطهِ واخذ سلسلة من حديد وصار يجلد نفسهُ طالباً من الله بذرف الدموع ان يُلين قلب والدهِ. فوقف بعض الخدم على ما يفعلهُ لويس واخبر المركيزة امهُ فقامت ورأت من شقوق الباب ابنها مضرّجاً بدمائهِ فاسرعت الى زوجها ودعتهُ الى نظر ابنهِ في تلك

الحالة قائلةً: ان لم تسمح له يا بطلهُ ستفقده بذنبك. فتحنّن قلب فرديناند وارسل فطلب ابنهُ. فلمّا رآهُ بلّلت الدموع وجهه ولم يتمالك عن ان يضمّهُ الى قلبهِ ويقول: «عليك يا ولدي كنتُ ابني آمال بيتي ولكن لا اريد ان اعارض مشيئتهُ تعالى فها انا ذا أطلق سراحك وأباركك فاذهب حيث يدعوك الله» فطار لويس فرحاً لهذا النبأ وقبّل يد والده شاكراً واستعدّ لمبارحة العالم باقرب وقت

وبعد ان بلغ الامر فيلبُّس الثاني سمح له بالتنازل عن امرتهِ لاخيه رودلفوس. وتمّ ذلك بحفلة شائقة حضرها الاعيان والاقارب بزيّهم الرسميّة. وبينما كانوا مجتمعين في ديوان القصر واذا بلويس ظهر لهم بغتةً وهو لابسٌ ثوب الرهبانيّة اليسوعيّة التي كانت العذراء اوحت اليهِ بالدخول في حجرها. فما وقع نظر الحضور عليهِ حتى هطلت الدموع لاسيما والديهِ واخاهُ اما هو فكان يتبسّم فرحاً كانهُ نجا من خطر عظيم وتهافت الى صكّ تنازلهِ عن الامارة فامضاهُ باسمهِ وسجّلهُ. وبذلك انتصر على فخفخة العالم وشرفهِ الزائل وردّد كلام الزبور (١٢٣: ٧): نجت نفوسنا مثل العصفور من فخ الصيّادين الفخّ انكسر ونحنُ نجونا

٣ الصليب رزحٌ لويس لربّهِ وتضحية نفسهِ لهُ

«لويس في الرهبانيّة اليسوعيّة» اسرع لويس وطلب البركة الوالديّة واقرأ الوداع سائر اهلهِ ورحل الى رومية وذهب تواً الى دير الآباء اليسوعيين حيث انطرح على قدمي رئيسهم العام الاب كلاوديوس اكوافيفا الذي كان سبقهُ في الجهاد عن دعوتهِ وهو مثلهُ من اسرة الامراء الرومانيين. فاوقفهُ وضمّهُ الى صدره ثم قبلهُ في عداد رهبانهِ وكان ذلك في ٢٥ تشرين الثاني من السنة١٥٨٥ وعمرُ لويس١٧ سنة ونصف

«المبتدئ» كان للمبتدئين اليسوعيين في رومية دير خاصّ يدعى دير القديس اندراوس ليس بعيداً عن قصر الكويرينال. ففيه انتظم لويس في سلك المبتدئين مهملاً نفسهُ في يد رؤسائهِ ليخرّجوهُ على كل آداب الرهبانيّة. فوجد هناك ثمانين شاباً من بلاد مختلفة لكنهم كالمسيحيين الاوّلين قلبٌ واحد ونفسٌ واحدة من جملتهم وطنيّنا المارونيّ شهيد الحبشة الاخ ابراهيم جرجي. كلّهم يتبارون في حلبة الصلاح والقداسة. فرأى لويس نفسهُ بينهم كما في جنّة عدن وقصد ان يجاريهم طاقة جهده. وابتدأ بالتجرُّد من كل ما كان زوّدهُ بهِ اهلهُ من ثياب ناعمة وكتب صلاة مذهّبة وامتعة اخرى

جميلة. واختار اعتق ما وجدهُ في الدير من الثياب وادلّ ما فيهِ على الفقر الرهباني. وما مرّ عليهِ بضعة أيام حتى سبق الجميع بممارسة اعمال التقى والتواضع فكان ينصب المائدة ويجلي الصحون ويكنس البيت ويعاون الطبّاخ ويعتبر نفسهُ خادماً لكل اخوتهِ

فكان وجوده في ذاك الدير المقدس باعثاً جديداً لجميع اخوتهِ ليتسروا مثلهُ في الكمال الرهباني لكنهم اقرّوا بانهُ سبقهم شوطاً كبيراً. واذ رآهُ الرؤساء يفرط في التقشفات والاماتات وضعوا حدّاً لنشاطهِ وغيرتهِ ففضّل الطاعة لاوامرهم على الذبيحة الاختياريّة وعوّض عن ذلك بقمع كل اهواء قلبهِ وكسر ارادتهِ بحفظ كل القوانين حتى ادناها وبمضاعفة حبهِ لربهِ فكان لا يحوّل نظره عن الصليب ليطلب نفسهُ مع ربهِ في كل ساعات حياتهِ فيموت الحواسّ ليحيا بالربّ. وكان في بعض الأيام يخرج ساحات البلد متسوّلاً كاحد الفقراء فيفرح مما ينالهُ لذلك من الاحتقار والاهانة

وممّا انعم الله بهِ على لويس في زمن ابتدائهِ ميتة ابيهِ الصالحة توفي بعد شهورٍ ونصف لدخول ابنهِ في الرهبانية. وقد منحهُ الله في مرضهِ الاخير توبة نصوحاً واستعداداً تامّاً لملاقاة ربهِ ناسباً ذلك الى قداسة ابنهِ لويس فمات وهو يقبّل مراراً الصليب الذي كان في حجرة بكرهِ في القصر

﴿الدارس﴾ قضى لويس سنتين في محن الابتداء لم يحد ذرّةً عن جادة القداسة والكمال الرهباني فابرز نذورهُ الاولى برهبانيّة يسوع التي كان يحبّها محبّة ابر الابناء لأحنّ الأمهات. فدُعي الى دير رومية الكبير المعروف بالمدرسة الرومانيّة الشهيرة من اكبر مدارس رومية وارقاها علوماً واوفرها عدداً. فامتزج هناك بالـدارسين وباشر بالدروس الفلسفية والحقها باللاهوتية على اعظم المعلمين شهرةً. وكان منذ ... قد صمّم النيّة على ألّا يفوتهُ شيء من تلك العلوم ليخدم بها النفوس بعد ... فبلغ منها مبلغاً بعيداً حتى انتدبهُ الرؤساء الى أن يلقي فحصاً عمومياً بإزاء علماء رومية وارباب الكثلكة من كرادلة واساقفة وامام سائر الدارسين. ففكّر القديس بان يتجاهل باجوبتهِ لينالهُ من ذلك احتقار وهوانٌ لولا مرشده الطوباوي بلرمينوس الذي نهاهُ عن ذلك. فاطاعهُ وبهر الجميع بعلمهِ واحتشامهِ معاً. وانّما ابدى في نظرهِ بعض النفور في وجه احد العلماء الناصحين الذي قدّم على اسئلتهِ مديحاً لاسرتهِ الشريفة ولشخصهِ

﴿القديس﴾ ولم تخمد الدروس شيئاً من نشاط لويس في الروحيّات وممارسة

الفضائل . فكان اذا ختم دروسهُ يبادر الى الصلاة فيُرى امام القربان الاقدس جامدًا متخشعًا كأنهُ غائب عن حواسهِ كبعض الارواح المطوّبة . وكان استحراره بالصلاة يؤدي بهِ الى شبه الانجذاب والتوتُّر حتى خاف الرؤساء على صحتهِ وامروهُ بان يصرف فكرهُ عن الله الى امور اخرى فكان كل ما يحاول طاعتهم يزداد ألمًا حتى اطلقوا لهُ الحرية في ذلك . وكان في اوقات الفراغ والراحة لا يبتهج إلّا بالحديث التقوي والاخبار الروحية . وكان في كل حركاتهِ وسكناتهِ يلوح الجميع كمثال حيٍّ لسيرة المسيح . فشاع خبرهُ بين شبان رومية فكانوا يقبلون الى المدرسة الرومانية حيث يَرَ لويس ليشاهدوهُ فيشيرون اليهِ بالبنان . وقد سمح الله ان يعود لويس الى وطنهِ بامر الرؤساء ليصلح خلافًا وقع بين اخيه رودلفوس ودوقة مدينة منتوا بسبب مقاطعةٍ اورثها عمهُ للدوقة وكان الحقّ من جانب اخيهِ فحصلت بذلك مخاصمات وخرجت جيوش الفريقين للحرب فأُرسل لويس ليصلح ذات البين . فقامت البلاد وقعدت لاستقبال اميرهم القديس فخرجوا زرافات ووحدانًا للاقاتهِ واخذوا يطلبون بركتهُ ويتنافسون في اكرامهِ على الرغم من نفورهِ . ولما دخل قصر والدهِ استقبلتهُ امهُ جاثيةً وشاكرةً لله على نظر ابنها راهبًا . اما المهمَّة التي أتى لاجلها فان لويس بحكمتهِ ونزاهتهِ تمكَّن من اصلاحها وألَّف القلوب على احسن منوال ثمَّ اسرع راجعًا الى رومية لينجو من ازدحام الشعوب حولهُ

﴿الشهيد﴾ كان لويس يوم انضوائهِ الى رهبانيَّة القديس اغناطيوس طلب الى الله ان يمنحهُ نعمة الاستشهاد وهو يفكّر في طلب الارسالية الى بلاد الوثنيّين . فنال هذه النعمة على منوال آخر . فانهُ في السنة ١٥٩١ فشا في رومية وباء عضال ذهب بحياة كثيرين من اهل تلك المدينة لاسيا الفقراء والمحتاجين فكان الآباء اليسوعيّون في مقدّمة الذين حاولوا خدمة اولئك البائسين وعلاجهم وتوزيع الحسنات عليهم . وكانت اخصّ الذين اعتنوا لذلك الرهبان الكهنة . ثمَّ زاد المرض فشوًّا وانتشارًا فتوسّل الشبان اليسوعيون ايضًا ان يساعدوا الكهنة في عملهم الخيري . وكان لويس اوَّل من تمنى ذلك والحّ على الرؤساء بالطلب حتى نال مرغوبهُ . فكان كل صباح يطوف المدينة ويتردَّد على معارفهِ الامراء ليجمع منهم الحسنات فيحملها في كيسٍ على كتفهِ ويوزّعها على المنكوبين . وكان يدخل اكواخهم ويرتّب فراشهم ويعزّيهم في بلاياهم ويُعنى بصغارهم فيلقّنهم الصلوات لا يبالي بما يصيبهُ في ذلك من العناء والمشقَّة بل

من الخطر المبين . فكان يرجع المساء الى المدرسة الرومانية منهوك القوى لايطلب راحة . على انَّ رؤساءهُ وجدوا انَّ تلك الخدمة اخذت تؤثر في صحتهِ واذ لم يمكنهم ان يصرفوه تاماً عن عملهِ المبرور لئلا يكدّروا خاطرهُ خفّفوا عليهِ تلك المهنة وسمحوا لهُ بخدمة المرضى في المستشفيات إلّا ان جرثومة المرض كانت نفذت في عروقهِ وتبيّنت بعد زمن قليل اعراضها . فامرهُ رئيسهُ ان يلزم الفراش ثمَّ اخذت نوبات الداء تتوالى عليهِ فتتفاقم يوماً وتخفّ يوماً فطالت مدّتهُ الى ان قطع الاطباء الرجاء عن حياتهِ

فلمّا عرف لويس انَّ اجلهُ قريب لاحت على محيّاهُ امارات الفرح وكان يكرّر على الذين يعودونهُ كلمة الزبور (١٢١ : ١) : فرحتُ للقائلين لي الى بيت الربِّ ننطلق . فيشكر الله على ما وهبهُ من نعمة الاستشهاد بخدمة القريب وبالموت في ربيع الشباب . وكتب الى والدتهِ يخبرها بالامر ويعزّيها ويطلب اليها ان تفرح بسعادتهِ القريبة

وكانت اواخر ايام حياتهِ كلها تواقاً الى الله يتشوّق الى رؤيتهِ تعالى ولا يتحدث على غير الامور الالهية ويكرّر قول الرسول (فل ١ : ٢٣) : اني اريد ان انحلّ من هذا الجسم واكون مع المسيح . وطلب ان يتناول القربان راكعاً على الحضيض واخبر انَّ وفاتهُ ستكون ثامن يوم عيد جسد الربّ وهكذا تمَّ على خلاف ما كان الجميع يظنّون كأنَّ الله اراد ان يجازيهُ عن عبادتهِ الفريدة للقربان الاقدس منذ نعومة اظفارهِ . وكان آخر ما فاه بهِ الى رئيسهِ حيث سألهُ : كيف انت ؟ فقال : انا ذاهب . فاردف الرئيس : والى اين ؟ . فاجاب لويس : الى السماء برحمتهِ تعالى . قال هذا بكل طمأنينة كأنهُ ذاهب الى وليمة . وبعد حين انطفأ سراج حياتهِ وهو يتلفظ باسم يسوع وعلى صدرهِ الصليب كما يُرى في تماثيلهِ بين يديهِ . وكان ذلك في ٢١ حزيران سنة ١٥٩١

فاجمع كل الحضور انَّ تلك وفاة اعظم اولياء الله . وقد رأت القديسة مريم المجدلية دي باتزي نفس لويس في مصافّ القديسين فصرخت : «لله ما اعظم مجد لويس ابن اغناطيوس اني اودّ لو اطوف العالم كلّهُ واذيع في كل مكان انَّ لويس ابن اغناطيوس قديس عظيم . ما كنتُ لاظنّ انَّ في السماء مجداً كمجدهِ» ودُفن جسدهُ الطاهر في محلّ خاصّ ريثما تنتهي الكنيسة بقداستهِ . اما غرفة موتهِ فتحوّلت بعد قليل الى معبد اصبح مزاراً للجموع . وبقربها غرفتان اخريان مات في الواحدة القديس يوحنا بركانس وسكن في الاخرى شهيدنا الوطني المكرَّم ابراهيم جرجي اليسوعي

القديس استانسلاوس كوستكا

هذه الزهرة الثانية التي قطفها الله ونقلها الى جنان الخلود وهي شبيهة باختها نضارةً وعبيراً لا بل سبقت فقاح أرجها بضع سنين قبل زمن لويس غونزاغا

١ً مولد استانسلاوس

رأى استانسلاوس النور في بولونية في قصر اجداده روستكوف وذلك في ٢٨ ت١ سنة ١٥٥٠ من اسرة باذخة في الشرف تعدّد فيها مشاهير الرجال وكان ابواهُ يوحنا ومرغريتا عريقين في الفضل والدين. وكانت امّهُ تفتخر بكونها من عشيرة ظهر فيها القديس إياسنتوس من الرهبانيّة الدومنيكيّة. وقد انعم الله عليها اذ كانت حبلى باستانسلاوس ان ظهر على صدرها اسم يسوع باحرف ذهبيّة. شمّة اشار الله بذلك الى دعوة ابنها الى الرهبانيّة اليسوعية. ويوم عماده وضعهُ كفيلهُ امام الذبيح وقدّمهُ للسيد المسيح المحجوب تحت الاعراض الافخارستيّة. فاتّخذ فعلهُ في الحضور وتفاءلوا به خيراً

وقد اجمع الشهود انّ اوّل ما بلغ الولد سنّ الرشد مال قلبهُ الى التقى والعبادة وحاد عن فعل ادنى الهفوات حتى أُطلق عليهِ اسم الملاك. وكانت الطهارة كانها غريزة في قلبهِ جُبل عليها منذ المهد فرضعها مع الحليب. وكان وهو فتى صغير دون الخامسة من عمره اذا سمع احداً يفوه امامهُ بكلمة منافية للآداب يتقع لونهُ ويُغمى عليهِ حتى حذّر ابوهُ الغرباء ونهاهم عن كل كلمة منافية للأدب امامهُ

٢ً استانسلاوس في عاصمة النمسة

لما ترعرع استانسلاوس سلّمهُ ابوهُ مع اخيه الكبير بولس الى عناية احد المعلمين المدعو بلنسكي ليخرّجهما في العلوم اللغويّة والادبيّة شأن اشراف البلاد. فتلمذا مدّةً الى ان بلغ اباهما انّ اليسوعيين منذ حديث رهبانيّتهم فتحوا مدرسةً كبيرة في فيانة عاصمة النمسة تتقاطر اليها الشبّان من كل صوب فارسلهما اليها وباتا في معاهدها تحت رعاية بلنسكي وكيلهما

فكان استانسلاوس مثال الجدّ والتقى ناجحاً في دروسهِ ومواظباً على العبادة مبالغاً في اكرام البتول التي كان يدعوها امَّهُ مثابراً على الصلاة وكل فرائض الدين. فيذيقهُ الله فيها سلوتاً باطناً يزيد رغبتهُ فيها . على خلاف اخيهِ الذي كانت اشواقهُ الى العالم وميلهُ الى حطامهِ واباطيلهِ

وظهرت فضيلة استانسلاوس في السنة الثانية لوجوده في فيانة اذ مات الملك فرديناند وقام خلفهُ مكسيميليان سنة ١٥٦٤ فانتزع من اليسوعيين باغراء اعدائهم البروتستانت مساكن الطلبة التي كان ابوه اكرم بها عليهم فلم يبقَ لهم سوى معاهد التدريس يحضرها التلامذة الخارجيون في المدينة. واضطرَّ بولس واستانسلاوس ان يأجرا لهما محلًّا في احد البيوت فاختار بولس مع وكيلهِ حجرةً في بيت احد البروتستانت ليخلو لهما الجوّ في ملاهيهما دون ان يرعيا خاطرًا لاستانسلاوس

لكنَّ الشابَّ القديس عاهدَ اساتذتهُ اليسوعيين على حفظ تقاهُ وسيرتهِ الصالحة مهما تكلفهُ في ذلك من المشاقّ. فكان اذا فرغ من دروسهِ يبادر الى الكنائس فيقضي فيها الساعات وهو يصلي . وقد لحظهُ البعض في صلاتهِ مرتفعاً عن الارض فيأخذهم العجب من امرهِ. واما في ساعات الليل اذ كان اخوهُ ووصيّهُ يتلهيان باللعب وشرب المسكرات كان هو يحيي ليلهُ بالصلاة. فرأى اخوهُ ووصيّهُ في فعلهِ توبيخاً وتقبيحاً لسيرتهما فاخذا يقرّعانهِ ويشتمانهِ. واذ لم يتزحزح استانسلاوس عن خطتهِ تلظَّى بولس عليهِ غضباً واساء معاملتهُ بالضرب واللكم حتى بلغت بهِ قحتهُ ان وطئهُ بارجلهِ ولعلهُ كان قتلهُ لو لم يخفْ يلتسكي من المسؤولية امام والدهِ فخلّصه من يدي اخيهِ

٣ مرض استانسلاوس وشفاؤهُ العجيب

انَّ سوء معاملة بولس لاخيهِ مع ما كان يفرضهُ استانسلاوس على نفسهِ من اعمال الورع والتقشف قد أدَّت بهِ الى مرضٍ عضال اصابهُ فلزم الفراش وتحمّل بالصبر اوجاعهُ وهو لا ينِي من صلاتهِ ومناجاة ربّهِ . وهنالك دفع ابليس الى ان يخيفهُ ويلقي في قلبهِ الجزع والقنوط فظهر لهُ على صورة كلب اسود همّ بافتراسهِ وعيناه كجمرتي نار. لكنَّ استانسلاوس عرف كيده وردَّهُ عنهُ ثلاث مرات برسم اشارة الصليب ثلاثاً

على صدره فتوارى عنهُ ابليس بالخزي والفشل

ولما اشتدَّ الداء على الشابّ الصالح وخاف ان يفاجئهُ الموت دون ان يتسلّح باسرار الكنيسة طلب الى وصيّهِ واخيهِ ان يأتيا له بكاهن يزوّدهُ بقوت الملائكة. ولكنهما خافا ان يدري بذلك صاحب النزل فيطردهما من بيتهِ فملأاهُ بالمواعيد الكاذبة. اما استانسلاوس فالتجأ الى السماء اذ خاب املهُ من الارض وكان متعبدًا للقديسة الشهيدة بربارة وهي شفيعة المنازعين فتضرَّع اليها بكل حرارة ان تمدَّهُ بنعمة الاسرار. واذا بتلك البتول ظهرت له مع ملاكين كان احدهما حاملًا القربان الاقدس فناولهُ اياهُ وتوارت الرؤيا عنهُ لكنَّ قلبهُ غاص في لجة الشكر واتّقد بمحبة الله الذي لم يهمل عبدهُ في تلك الضيقة

وفي اثر هذه الرؤيا حظي بنعمة ثانية اعظم منها اذ تراءت له العذراء مريم وعلى ذراعيها طفلها يسوع فجعلتهُ ساعة بين يدي استانسلاوس فذابت نفسهُ سرورًا وبهجة اذ رأى ما لا عين رأت ولا خطر على بال بشر. ولم تبارحهُ إلّا بعد شفائهِ التامّ وايعازها له بان يدخل في رهبانية ابنها يسوع. والغرفة الصغيرة التي وقعت فيها هذه العجائب لا تزال حتى اليوم موقَّرة يقصدها الوف من الزوّار من النمسة وبولونية والمجر ليتباركوا منها وقد اسعدنا الحظ ان نقيم فيها الذبيحة المقدَّسة سنة ١٨٩٣ . وكان يزورها كل سنة الامبراطور فرنسوا جوزف

٤ دعوة استانسلاوس الى الرهبانيّة وفراره من فيانّة

تحقّق استانسلاوس مشيئة الله الذي دعاهُ الى هجران العالم ولكن كيف يستطيع ان يلبّي دعوتهُ تعالى ؟ عرض الامر الى رئيس الآباء اليسوعيين في فيانّة فاجابهُ انَّ الامر مستحيل دون اذن والده الذي ما عرف بفكر ولده حتى تهدَّد بنفي اليسوعيين ان اجابوا الى ملتمس ابنهِ

فلم يرَ استانسلاوس بعد الصلاة واستشارة مرشد ضميره الّا ان يفرّ هاربًا من فيانّة ويذهب الى المانية فيلقي بنفسهِ بين يدي رسول المانية الكبير القديس بطرس كانيزيوس في جامعة ديلنجن. فقام باكرًا في صباح احد الايام من مسكن اخيهِ وأعطى الخادم إعلامًا بألّا ينتظروهُ للغداء. وخرج من المدينة فدعا فقيرًا هناك واعطاهُ ثوبهُ الفاخر

وتنكر بثوب حقير وسار ماشياً طول نهاره ورقد ليلته في كوخ على طريقه. فلم يرتب بولس ووصيّها بالشكي بحيلة استانسلاوس حتى اذا كان الليل ولم يجداه راجعاً لمبيته خامرهما الشك في ثبته. وفي صباح اليوم التالي ركبا مجلة ليدركاه ويكرهاه على الرجوع الى المدينة. وما لبثا بعد ساعاتٍ ان رهقاه لكنهما لم يعرفاه في كسوته الفقيرة متنكراً فسبقاه وتوغلا في السير دون ان يجدا احداً فعرفا ان ذاك الصعلوك هو هو استانسلاوس فرجعا القهقرى اليه. اما هذا فكان حاد عن الطريق لئلا يدركاه. فلما عادا اليه وارادا توجيه المجلة الى منحاه انتصبت الخيل وجمحت فأبت السير مطلقاً واضطرا الى الرجوع الى فيانة فارغين

فواصل استانسلاوس سيره اياماً لا يكترث لتعب وعناء. وهو في طريقه لا يأخذه سأم ولا ملل من الصلاة. وكان اذا وجد في طريقه كنيسة اسرع الى زيارتها وان امكنه بادر الى قبول الاسرار المقدسة فيها. واذ رأى يوماً كنيسة للبروتستانت فخدع بمنظرها ولجها للصلاة. لكنه بعد ساعةٍ عرفها فخرج كئيباً اسفاً وتمنى لو تحصل له نعمة المناولة واذا بجوق من الملائكة تراءى له وبينهم واحد في يده القربان فناوله وتواروا عنه جميعاً. فقام استانسلاوس كالبازي بعد ان غذاه الملاك بخبز عجيب وتبع طريقه بكل فرح ونشاط

دخل طالب الرهبانية الى كانيزيوس وتقابل القديس الشيخ والملاك وانطرح استانسلاوس على اقدامه طالباً منه بذرف الدموع ان لا يحرمه نعمة الترهب في جمعية يسوع فعانقه كانيزيوس معانقة الاب لولده ووعده ان يرسله الى رومية حيث لا خطر على دعوته من قبل ابيه. لكنه اراد بكل فطنة ان يمتحن دعوته وتقدم اليه بان يخدم طلبة تلك المدرسة على المائدة. ففرح بذلك الامر وقام بخدمة التلامذة شهراً كاملاً وهم يقضون منه العجب لحشمته ونشاطه وعدم المبالاة بنفسه في اكل وشرب وراحة

ولما كان منتصف شهر ايلول من السنة ١٠٦٧ أُرسل استانسلاوس مع رفيقين آخرين الى رومية. واعطاه القديس كانيزيوس رسالة الى رئيس الرهبانية العام في رومية يخبره بأمره. وهو وقتئذ القديس فرنسيس بورجيا نائب ملك اسبانية سابقاً في كتالونية

٥ ترهّب استانسلاوس في رومية

ترحّب القديس بورجيا بذلك الطالب المرسل اليهِ من قِبَل الله وباركهُ ثمَّ ضمَّهُ الى امثالهِ من الطلبة في دير القديس اندراوس على جبل الكويرينال فكان ذلك في ٢٨ ت١ من السنة ١٥٦٧ وقد ادرك الثامنة عشرة من عمره. فلقي في دار المبتدئين عدَّة من الشبان الذين اشتهروا سابقاً في العالم بتشاخيصهم الجليلة وشرَّفوا بعد ذلك الرهبانية بفضائلهم وعلومهم وسفاراتهم واستشهادهم بين البرابرة. وكان من جملتهم سميٌّ لاستانسلاوس شابٌ بولوني دخل الابتداء بعده بأيام اسمهُ استانسلاوس ورشوسكي كان تقلَّد السفارة لدى سلاطين آل عثمان وعُيِّن رئيساً لمجلس شورى وطنهِ

لم يجد استانسلاوس كوستكا في امتحانات الابتداء ما يشقُّ عليهِ فعلهُ من اوامر الطاعة والتذلُّل ونكران النفس بل كان يبادر اليها بكل شوق ورغبة ليمتلك في قلبهِ اساس كل الفضائل الرهبانية

وانَّما شقَّ عليهِ ما علمهُ من غضب والده وعدم رضاه بدعوتهِ وكان وجَّه اليهِ رسالةً يزجرهُ بها وينسبهُ الى تذليل شرف اجداده ويهدِّدهُ بالقبض عليهِ واعادتهِ الى وطنهِ مكبَّلاً بالاغلال. فكتب استانسلاوس لوالده هذه الرسالة التي يلي تعريبها :

سيدي الوالد

« لو كان ما صدر مني موجباً لنيل حزنكم وداعياً لتوبيخكم لأمتُّ على قلبي وانتشتُ منهُ للكتابة. ولكني لم ارتكب في حقكم ذنباً ولا بخست من شرف بيتكم شيئاً. واما ما حسبتموهُ عليَّ جنايةً وذنباً فاني اتبعت فيهِ قول الانجيل الطاهر فلا اخجل منهُ ولا هو مما يسوءكم شيئاً. وشهد الله يا سيدي اني منذ زمن مديد قد اخذت على نفسي الطاعة لهُ واتباع مثل يسوع المسيح. فوجدت خيرَ مقدرةٍ لا تخير لها على الارض ومن ثمَّ لا تأملن سيدي قطُّ ان اعدل عن عزمي مهما كلفني ذلك من العذاب. فانما لكم ان تباركوا اياي وتطلبوا لي نعمة الثبات في عزمي فيكون لكم اجرٌ عظيم لدى الله واكون انا لرأفتكم من اخلص الشاكرين »

قضى استانسلاوس في دار الابتداء عشرة اشهر لاحت في كل اعمالهِ لوائح القداسة والكمال الرهباني. فكان في كل سيرتهِ مع رؤسائهِ ورفقتهِ لا يجد ذرَّةً مما

يوحي به آباء العيشة النسكيّة الفضلى. ولم يكتفِ بهذا الكمال الخارجيّ بل كان ساعياً في تزيين نفسه بما يزيدها تقرّباً الى الله فكان لشدّة حرارته في الصلاة وعظم حبه فيستنير وجهه ويتّقد كأنهُ نارٌ مسعرة وكذلك صدرهُ يضطرم فلا يطيق حرارتهُ ويحتاج حتى في فصل الشتاء ان يبرّد لهيبهُ ويخمدهُ بالماء المثلوج. فيحيك نظرهُ في قلوب اخوته فيزدادون نشاطاً على مثاله

اما محبّتهُ للبتول فلا حاجة الى وصفها وقد رأينا ما اظهرت لهُ من اللطف والحنان. فكان يُسَرّ بالنظر الى صورها ويقتدي بفضائلها ولا ينام مساء قبل ان يحيّي كنيستها الكبرى بالسلام ويحني رأسهُ امام صورتها العجائبية المكرّمة هناك طالباً بركتها. وكان اذا سألهُ احد هل يحبّ مريم يجيبُ قائلاً: كيف لا احبّها وهي أُمي

٦ وفاة القديس استانسلاوس

فهذه المحبة التي كان استانسلاوس مكّنها في قلبه هي التي دفعته عند اقتراب عيد انتقال العذراء ان يطلب منها ان تنقلهُ في ذلك النهار الى مقرّها في السماء ليحظى برؤيتها ويشارك القديسين في اكرامها. وكتب رسالةً صغيرة بهذا المعنى وجعلها على صدره يوم عيد القديس لورنسيوس شفيعه في شهر آب مستمدّاً تلك النعمة بواسطته. فأحبّت ام الله ان تنيلهُ ما طلب وشعر بقبول طلبه

ومع انّ استانسلاوس كان حاصلاً على عافية تامّة اشار الى بعض رفقته بقرب وفاته واخذ يستعدّ لهذا السفر الاخير بما امكنهُ من الحرارة واعمال التقى. ففي مساء عيد القديس لورنسيوس في ١٠ آب احسّ بتوعّك في صحّته فارسلهُ الرئيس الى بيت المرضى حيث صرّح بقرب حلول اجلهِ في يوم عيد انتقال العذراء. فلزمتهُ حُمّى لم يرَ الاطباء منها بأساً إلّا انها اشتدّت عليهِ بغتةً حتى تحقّق الجميع انّ ما قالهُ عن وفاته في يوم عيد البتول انّما اوحتهُ اليهِ مريم نفسها. ففي بيرامون العيد لاحت عليهِ اعراض الموت فاقتبل كل اسرار الكنيسة بفرح لا يوصف. فكان يظهر جبينهُ ساطعاً بالنور كأنهُ احد ملائكة الفردوس وكان في كلّ كلامهِ وكل حركاتهِ يجد فيهِ الحضور مثالاً حيّاً لموت الابرار. فتارةً يودّع رفقتهُ الرهبان ويعدهم بان يذكرهم امام الله وتارةً

يستغفر عما فرط منه من الزلات وكانت اعظم تعزيته ان يقبل جروحات صليب ابن الله وايقونة العذراء ويلثم سبحة ورديّتها بشوق يدعو الحضور الى البكاء لتأثيره بهم . وعند ساعة وفاته استضاء وجهه وشخص بعينيه الى رؤيا جليلة فهمس الى احد الاباء بان والدة الله ظهرت له مع جوق من العذارى وبعد هنيهة أسلم روحه في ١٠ آب ١٥٦٨ بكل هدوء دون ان يلوح على وجهه شيء من امارات الموت وكان رأي العموم أنَّ سبب موته كان فرط محبته لله ليس عاملاً طبيعياً

***

هذه نبذة وجيزة اختصرنا فيها سيرة ذينك الشابين الفاضلين بل البطلين الشهمين وفقاً لقول الشاعر :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً   انما من يتّقي الله البطلْ

ولذلك قد شرّفهما الله حتى على الارض وخوّلهما مجداً ما كانا لينالاهُ لو عاشا في العالم بل بهما تخلّد ذكر اسرتيهما ولولاهما لبقي اسم غونزاغا وكوستكا في زوايا النسيان

وكان بودّنا ان نذكر الكرامات العديدة التي جرت في كل البلاد بشفاعتهما فانَّ كثيراً منها تقرَّر بشهادة اوثق الرجال واصدقهم قولاً وافضلهم سيرةً بازاء لجنة رسميَّة استطلعتهم فأدوا شهادتهم بعد القسم على الانجيل

وانّنا نُعدّ من اعظم تلك الكرامات تأثير أعمال هذين القديسين وقداسة حياتهما في ألوف من الشبان الذين تعقّبوا آثارهما . فكم أُنشئت جمعيّات تقويّة على اسمهما . وكم جدد العالم من الشبان اقتداء بهما . وكم عاد الى طريق الفضيلة من الضالين بعد الاطلاع على مآثرهما . وهذا ما دفع قداسة الحبر الاعظم الى نشر تلك البراءة الجليلة التي أعلن فيها بيوبيل المئة الثانية لتثبيتهما قديسين ليستنهض همم الشبيبة فيسعوا الى التمثل بهما ويشعر عدد اولئك الذين قال عنهم النبي في سفر الحكمة : « ما أبهى الجيل الطاهر التقي فانَّ ذكرهُ مخلّد عند الله والناس »

مدينة كانوب القديمة

لمحة تاريخية لحضرة الخوري لويس مايعه
احد اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية

من أمهات المدن المصرية التي اشتهرت بتاريخها وفخامة مبانيها وعظمة معابدها في الاعصار الخوالي هي مدينة كانوب الكائنة في بقعة ابي قير احدى ضواحي الاسكندرية. واذ قد تسنّى لنا ان نزور منذ ايام خرائب هذه المدينة الواغلة في القدم برفقة اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في ثغرنا الاسكندري لتفقد ما اكتشف هناك من العاديات والآثار مما لا يزال حتى يومنا صابراً على غارات الزمان . رأينا ان نبسط في هذه المجلة لقرّاء المشرق الاغر ملخص تاريخ تلك المدينة مع ما طرأ عليها من التقلبات والادوار خلال عصرها الوثني اولاً ثم نتخطى الى الكلام عن عصرها المسيحي ثانياً . وبناء عليه نقول : (١

١ً كانوب في عصرها الوثني

اولاً — في عهد اليونان

لا نزاع بان شبه جزيرة ابي قير كان آهلاً بالسكان قبل انشاء مدينة كانوب فيه لان التقليد ينبئنا بكيان مدينة هناك تدعى «تونيس» (Thonis) . على ان تاريخ نشوء مدينة كانوب فلا يتعدى فيما يظهر عهد فراعنة السلالة الوسطى وقد ثبت اليوم ان كانوب هذه قد لعبت دوراً خطيراً في عصر السلالتين التاسعة عشرة والعشرين

(١) لقد كان جل اعتمادنا في وضع هذه النبذة على الكتيّب النفيس الذي ألفه حضرة العلامة الأسوف عليه الاب فيفر اليسوعي وعنوانه :

Faivre: Canope, Menouthis, Aboukir, *Alexandrie*, 1917

ثم على المجلد الاول من الكتاب الثاني الذي اصدرته تباعاً الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية بقلم الاستاذ برتشيا مدير المتحف الاسكندري واسم الكتاب :

Ev. Breccia: Monuments de l'Egypte Gréco-Romaine. *Bergame*, 1926

واشتهرت يومئذٍ باسم كونوكولوت (Kunokulut) بدليل بروز هذا الاسم على وثائق ومستندات حجرية يتصل تاريخها بالقرن السادس قبل الميلاد

اما اخبارها فلم تتجلَّ لنا تماماً الا في زمن حكم البطالسة. وقد عزا فريق من كتبة اليونان انشاء مدينة كانوب الى رجال العصر الطروادي اذ جاء في اقوالهم ان بحّاراً يونانياً يدعى كانوبوس كان عائداً من حرب طروادة مع منيلاس على سفينة. فاندفعت بها على احد الشواطئ المصرية حيث اضطرّا الى الاقامة هناك شطراً من الزمن. وفي اثناء ذلك أُصيب كانوبوس الذكر بلسعة صلّ استهدفته مائتاً في الحال فدُفن على عقبها دفنة مكرمة وجُعل قبره كأول اثر لتلك المدينة التي انشئت في ذلك المكان وسُميت باسمه. وكيفما كان الامر فان في اصل منشأ كانوب هذه مزاعم كثيرة متضاربة متباينة لا نرى كبير فائدة من التبسّط فيها

واول من اماط اللثام عن تاريخ كانوب هو هيكاته دي ميلات (Hécatée de Milet) الذي قد ذكر مكاناً يدعى كانوب وتعقّبه اشيل فقال عن ذلك المكان انه مدينة مجاورة لمصبّ النيل الغربي وان هيرودوت الرحالة الشهير قد ابتدأ بجولته في الديار المصرية من كانوب. وقد كانت شعبة النيل المجاورة لتلك المدينة معروفة بالشعبة الهيراكليوتيكية (Héracléotique) لان مدينة هيراكليوم (Heracleum) كانت اقرب الى النيل من قرب كانوب اليه. ومما لا جدال فيه على ما قررهُ رجال البعثة الفرنساوية بان كانوب كانت ممتدة في القسم الغربي من شبه جزيرة ابي قير

ويروى ان الاسكندر الكبير بعد ان دوّخ سوريا واستحوذ على معاقل صور وغزة دخل مصر عن طريق بيلوزه (Péluse) فلم يلقَ فيها اقلّ مقاومة. ثم سار قاطعاً الصحراء حتى بلغ هليوبوليس ثم ممفيس التي منها ركب المراكب النيلية في الترعة التي تؤدي الى كانوب فالبحر. وهناك القى ببصره على بلدة توكتيس وكانوب فلاح له منذئذٍ ان تجارة هاتين المدينتين سوف تصاب بضرر لبعد المسافة بينها ولذلك ابتنى على الشاطئ مدينة سمّاها الاسكندرية على اسمه وقد اصبحت هذه المدينة فيما بعد كما قال كليستان اعظم مدينة تجارية في المعمورة بأسرها. ولذ رأى هذا الغازي ايضاً ان مدينة كانوب هي بمثابة جزء من المقاطعة اللاحقة باسكندرية فضلاً عن اهمية موقعها فلم يشأ والحالة هذه ان يغادر وادي النيل دون ان يترك في مصر

كليومان النوكراتيسي الذي قلده وظيفة جباية الاموال الاميرية فاخذ هذا الطاغية في ابهاظ كواهل سكان البلاد بالضرائب والمغارم

ولم يقف عند هذا الحدّ فقط بل قصد كانوب حيث اعلن بان لديه امراً بنقل متاجر المدينة الى قرب فاروس. فخاف التجار من هذا الامر وحسبوا له الف حساب ومحاذرة ان تصبح متاجرهم هدفاً للضياع جمرا اذ ذاك مبلغاً من المال وقدموه لكليومان على سبيل اسكاته فاخذه ولم يلبث ان عاد اليهم وسألهم مبلغاً آخر كبيراً ووعدهم بانه يخيّرهم بنقل متاجرهم اما الى نوكراتيس او الى الاسكندرية. اما هم فاعلنوا بانهم لا يستطيعون دفع شيء. ولذلك امر بنقلهم جميعاً مع سلعهم الى الاسكندرية ومنذ ذاك الحين اخذت الحركة التجارية في كانوب بالانحطاط تدريجاً غير انها لم تتلاشَ تماماً لان تجارة نوكراتيس استمرت رائجة بعد ذلك مدةً طويلة

اما في ايام البطالسة فقد بلغت كانوب شأواً كبيراً من العمران فان ما كان يقام في معابدها الشامخة من الاعياد والحفلات الباهرة لهو اكبر شاهد على عظمتها وسمو مكانتها في عيون الذين كانوا يؤمّونها ابان تلك الازمنة. وكان اقدم هياكلها المخصص لعبادة الاله هيراكلاس يرتقي عهده الى زمن حروب طروادة على قول هيرودوت (ك ٢ ف ١ عدد ١١٣). ولقد أنشئت بكرور الايام حول هذا المعبد بلدة سُميت هيراكليوم كما ذهب اسطرابون (ك ١٧ ف ١ ع ١٨). وكان موقع هذه البلدة قريباً من مصب النيل الكائن على الشاطئ الشمالي واطلق على هذا المصبّ اسم المصبّ الكانوبي او الهيراكلي

ولقد اقيم ايضاً مدة ازدهار كانوب معابد اخرى فيها غير المعبد الذي سبق ذكره. منها المعبد الفخم الذي شُيّد تكريماً لارسينوي الملكة زوجة بطليموس الثاني الفيلادلفي. وكان على مسافة غير بعيدة من المدينة رأس داخل البحر يدعى زفيريوم (Zephyrium) المعرضه لهبوب الرياح المدعوة زفير (Zephyrs) والمعروفة عند العرب بريح الدبور وهي كثيرة الانتشار في كل تلك النواحي حتى انه خطر يوماً على بال الاميرال كليكرات (Callicrate) ان يبني في ذلك الرأس معبداً صغيراً لانقاذ الملاحين من مخاطر البحار

ولم يكد بطليموس الثالث المكنى بافرجات يتسنم منصة الملك حتى غادر الديار

المصرية على راس حملة ضد الاشوريين. فقلقت الملكة برنيقه زوجته عليه ونذرت بانه اذا عاد من زحفته ظافراً تنزع سبيبة من شعر راسها وتقدمها لمعبد افروديت. ولم يمرّ على بطليموس هذا اكثر من سنة حتى عاد من زحفته سالماً غانماً وعليه قامت الملكة بايفاء نذرها. غير ان سبيبة الشعر التي كانت قد اودعتها في المعبد توارت في اليوم التالي لايداعها من الابصار. واذ ذاك اذاع كونون (Conon) الفلكي بانهُ رأى هذه السبيبة قد تحولت الى مجموعة من الكواكب في القبة الزرقاء.

وكان في كانوب ايضاً معبد اخر اشتهر بالفخامة والعظمة ألا وهو معبد اوزيريس الذي عُرف من الكتابة التي وجدت محفورةً في صحيفة من ذهب تصان اليوم في متحف لندرة. واليك منطوقها: ان الملك بطليموس ابن الالاهين الاخوين والملكة برنيقة زوجته قد شادا هذا المعبد للالاه اوزيريس. فيستدل اذاً من هذه الكتابة بان بطليموس الثالث وزوجته المذكورين هما اللذان بنيا هذا المعبد العظيم

وفي سنة ٢٣٨ قبل المسيح ماتت كريمةُ بطليموس الثالث وهي في ريعة الشباب وكان اسمها برنيقة ايضاً. فعقد كهنة معبد كانوب على اثر وفاتها مجلس مشورة فيما بينهم واصدروا وثيقةً لاتزال محفوظة الى اليوم وفيها اتبتوا الوهية هذه الاميرة الشابة. ومما جاء في تلك الوثيقة وصفُ طرق التكريم التي يجب ان تقدَّم للاميرة المؤلّهة. منها مثلاً نقل الزورق المقدس سنوياً من معبد هيراكليوم الى معبد كانوب

وقد ظنَّ بعضهم ان معبد اوزيريس هو نفس معبد سيرابيس الذي نال في كانوب من الشهرة ما نال بحيث كان الزوّار يتقاطرون الى زيارته دفعات كثيرة خلال السنة. وكان المشهد الاكثر ابهاجاً الذي يجري في تلك المدينة منظرَ الجماهير وهم آتون من الاسكندرية الى كانوب بطريق القناة النيلية لاقامة الحفلات للالاه سيرابيس. فكنت ترى الرجال والنساء اثناء اجتياز هذه المسافة بين المدينتين عازفين بالشبَّابات مُنشِدين بادوات الطرب المختلفة ومنهم من كان يعمد الى التفنن برقص الخلاعة والمجون. وكان في كانوب نفسها أنزال وفنادق معدة للملاهي على اختلاف انواعها

وقد اشتهرت تلك المدينة ايضاً بصنع الحلويات كالقطائف ونحوها وكذا قل عن سمكها ومحارها وسائر انواع طيوبها وعطورها وخصوصاً عطر الناغية اي الحناء. ناهيك عن جودة مناخها وبهاء موقعها اللذين وصفها اميان مرشلان المؤرخ اللاتيني

وصفاً رائعاً بقوله : « ان مدينة كانوب تكثر فيها الفنادق الجميلة وتهب هناك خطرات من النسيم البليل تلطف حرارتها . اما جوها فصاف جميل ومن حط الرحال فيها يخال له انه في عالم غير عالمنا اذ يسمع هزيز الرياح التي تعصف باستمرار في تلك البقعة » (١

اما المسافة بين كانوب والاسكندرية فمئة وعشرون غلوة بطريق البر تبعاً لما قاله اسطرابون . على ان قول اسطرابون هذا لا ينطبق على الحقيقة تماماً بحيث لو قسنا هذه المسافة التي ألمع اليها اسطرابون المذكور باعتبار مقياس الغلوة المصطلح عليها عند الاسكندريين في ذلك العصر السحيق وهو ان الغلوة تعادل مائة وخمسة وثمانين متراً من امتار اليوم لكانت المسافة اذاً بين المدينتين تنيف على ٢٢ كيلومتراً الامر الذي لا يسلم به نفر من الكتبة . وحجتهم في ذلك ان المسافة الكائنة بين المدينتين لا تزيد على اثني عشر ميلاً وهذا ما يوازي ستة عشر كيلومتراً اليوم . فكانت اذن الترعة التي تنساب بين فنادق كانوب ومنازلها تصب على الارجح بين راس الزفير السابق ذكره وهيراكليوم

اما شعبة النيل المعروفة بالشعبة الكانوبية فكان مصبها على بعد نحو فرسخ جنوبي رأس الزفير المشار اليه . وكان لهذا المصب اهمية كبرى في العالم القديم بدليل قول اسطرابون وهو : ان مصاب النيل برمتها حفرتها ايدي البشر ما عدا المصب الكانوبي . على انه وان كان في قول اسطرابون هذا من المغالاة ما لا يتفق مع الحقيقة الا انه يبين لنا على كل حال ما كان لهذا المصب عند القدماء من الافضلية على سواه . دع عنك قول سينكا الفيلسوف الذي ذهب ايضاً الى ان هذا المصب الذي نحن بصدده كان اكبر المصاب النيلية كافة . وقد سماه بطليموس الجغرافي الذي عاش في البلاد المصرية بالنهر الكبير .

ولما زار ديودور الصقلي البلاد المصرية في القرن الاول قبل الميلاد شاهد على كل من مصاب النيل مدينة يشقها النهر الى قسمين . وهذه الاقسام برمتها كانت منضمة الى بعضها بواسطة جسور محصنة . وهكذا قل عن مصب كانوب الواقع على الضفة الشمالية . اما الضفة اليمنى من هذا المصب فكانت تحتوي على عدد عديد من الجواسق المحبوكة ببعضها . ومن هذه الضفة عينها تبتدئ زاوية الدلتا المكونة من طمي النيل

(١) اطلب تاريخه ك ٢٢ ف ١٦ (Ammien Marcellin, XXII, 16)

كما هو معلوم. اما كانوب عينها فكانت قائمة على الضفة اليسرى من المصب المذكور كما خططها الاسكندر ولقد اطلقوا على تلك البقعة مع الايام اسم « البقعة الاسكندرية » (١

ثانياً — كانوب في عهد الرومان

لما اخذت مملكة البطالسة في السنة الثلاثين قبل الميلاد تنهار انهياراً لم تقم لها من بعده قائمة اغتنم ملوك الرومان هذه الفرصة فوضعوا يدهم على الاقطار المصرية. وكان لكانوب اذ ذاك سمعة غير حسنة من الوجهة الادبية فهذا بروبرسيوس (Pro-perce) يدعو بتهكم كليوباتره الشهيرة ملكة كانوب الوجسة. وفي خطاب القاه اوغسطس قيصر على جنوده قبل معركة اكسيوم الكبرى صرّح بان انطونيوس لم يجر القابه الرومانية كليا ألا ليعكف على الضرب بصنوج كانوب. وكتب ايضاً سينكا الفيلسوف الى صديقه لوسيليوس رقيماً جاء فيه : ان الرجل الحكيم اذا رام ان يصطفي له مكاناً للعزلة والانفراد عن ضوضاء العالم عليه ألا يقصد الى كانوب. وقد وصف سيليوس ايتاليكوس (Silius Italicus) الحرية التي كانت تسود في ولائم الكبانيين فمارضها بما كان في مدينة كانوب من بواعث الدعارة والفجور

ولم يكن يوم كانوب من نبلاء الرومان واشرافهم ألا العدد القليل لان اوغسطس قيصر قد نهى هؤلاء عن الذهاب الى مصر بدون رخصة امبراطورية. ولما رغب جرمانيكوس في زيارة مصر لمشاهدة آثارها امكنه ان يتنصّل من هذه الرخصة ألا ان عمله هذا قد اغضب الامبراطور طيباريوس ولم يعلم جرمانيكوس بذلك ألا عند محاولته النزول في كانوب ليعبر النيل منها

وقد شاع اسم كانوب وذاع كثيراً عند كتبة اللاتين فكانوا يفهمون فيه احياناً البلاد المصرية باسرها. يدلنا على ذلك ان في كلام فرجيل الشاعر اللاتيني عن شعب كانوب ما ينمّ عن انه يقصد فيه هناك شعب القطر المصري برمته

---

١) من شاء زيادة اطلاع على تاريخ شعب النيل ومصابه فليطالع المجلد الثالث من المؤلف النفيس لسمو الامير العلامة عمر باشا طوسون وعنوانه Mémoire sur l'histoirr du Nil وهناك ايضاً بحث دقيق في قياس المسافة بين الاسكندرية وكانوب خلال تلك الاحقاب البعيدة

ومما تحسن الاشارة اليه ان الامبراطور ادريانوس قد زار القطر المصري مرتين. وعليه فلا يبعد من ان يكون قد مرّ بكانوب بدليل انه لما اراد بعد رجوعه من مصر ان يحيي في قصره الفخم الذي بناه في تيبور (Tibur) ذكرًا للبلدان المختلفة التي طاف بها خلال اسفاره انشأ في حديقة القصر واديًا صغيرًا على الطراز المصري وحلّاه باسم كانوب ١)

٢ كانوب في عصرها المسيحي

ذهب فريق من العلماء الى ان بشارة الانجيل قد أذيعت في القرون الاولى بسرعة مدهشة في مدينة الاسكندرية. ويغلب على الظن ان اذاعتها قد امتدّت الى ضواحي تلك المدينة على جناح السرعة ايضًا وخصوصًا في مدينة كانوب. على ان من الكتبة من قال ان القديس مرقس بشّر بالانجيل في ضواحي الاسكندرية اولًا ثم في الاسكندرية ومنها توجه الى المدن الخمس حيث انشأ عدة اسقفيات وعاد الى الاسكندرية واستشهد فيها بين السنة ٦٢ و٦٨م ٢). وليس بين يدينا حتى اليوم من البينات والادلة ما ينبئنا عن تفاصيل اذاعتها قبل اوائل القرن الرابع. ومما نعرفه عن تاريخ كانوب المسيحي هو انه في السنة التاسعة للاضطهاد الذي اثاره ديوكلسيانوس وهي الموافقة لسنة ٣١٢ مسيحية استشهد في مدينة كانوب القديسان كيريوس ويوحنا ورفقاؤهما وقد كان الاول الاسكندري المولد درس الطب في مدرسة الاسكندرية الشهيرة ومهر في هذا الفن. فكان يعالج الفقراء مجانًا ويهتمّ بالانفس اكثر منه باهتمامه بالاجساد ويبشر بالديانة المسيحية بهمة لا تعرف الكلل. ولما اشتهر امره عند الحاكم سيريانوس (Syrianus) توعده بان يلقيه في غياهب السجون اذا لم يجحد ايمانه. اما هو ففرّ هاربًا الى صحراء قريبة من البلاد العربية وتبعه اليها القديس يوحنا على اثر زيارته لاورشليم. وكان هذا الاخير جنديًا من مدينة الرها فعاشا سوية في تلك الصحراء بالانكباب على ممارسة اشد الفضائل صرامةً. وعلما يومًا ان احدى السيدات المسيحيات تدعى اثنازيا (Athanasie) قد اوقفت في كانوب مع بناتها الثلاث وهنّ في ربيع العمر فخافا على هذه المرأة وكريماتها من الوقوع في شرك الوثنيين ومن ثم ترك الناسكان

١) طالع الكتاب الآتي G. Poissier: Promenades archéologiques: Rome et Pompéi, (p. 238)

٢) مجموعة الآباء الشرقية Patrologia Orientalis: T. IV, p. 106

نزلتها في البرية وقصدا السجن حيث الامّ وبناتها المذكورات فاخذا ينشطانهن ويشجعانهنّ على الثبات في نعمة الايمان وما لبثا ان قُبض عليهما ايضاً فأحضرا امام الوالي الآنف الذكر فلم يعبأ لا بوعيده ولا بتهديده وفي آخر الامر اوعز الى الجنود بان يعرّوا الشهيدين من ثيابهما ويعذبوهما بعذاب الدواليب الفادح ثم مزقوا اجسادهما وخدشوهما بمقامع ذات كلاليب واسنان حادّة وصبوا على جراحاتهما خلاً ممزوجاً بالملح. وقد اولوا بالعذارى الثلاث والدتهن من انواع التعذيب ما اولوه بالشهيدين المذكورين فنلنَ مثلهما اكليل الاستشهاد. وعلى اثر ذلك جمع المسيحيون بقايا الشهداء الثمينة بين التراتيل الشجية والتواشيح الرخيمة وحملوها الى كنيسة القديس مرقس في الاسكندرية وهناك اودعوا رفات القديسين كيريوس ويوحنا في قبر ورفات النساء وبناتها في آخر (١

وقد جاء القديس يوحنا الدمشقي على ذكر هذين الشهيدين في خطبته الثالثة في صور القديسين والقديس صفرونيوس في الخطبة التي القاها على مسامع آباء مجمع نيقية الثاني (٢

---

١) طالع PAUL CHENEAU O. F. M. I. Les Saints d'Egypte, p. 257-258

٢) لقد اقام الوثنيون خلال الازمنة الماضية معبداً كبيراً في بلدة مينوتيس لم يقوَ انصار النصرانية على ملاشاته بسهولة. ولمّا وطّن القديس كيرلس الاسكندري العزم على ابدال العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في ذلك المعبد بعبادة نصرانية تاقت نفسه الى نقل رفات الشهيدين كيريوس ورفيقه يوحنا من كنيسة القديس مرقس في الاسكندرية الى كنيسة الانجيليين الاربع في مينوتيس. ومنذ ذلك الحين اخذ الزوار يفدون [illegible] من الاسكندرية ومصر وليبية وسائر انحاء العالم الى زيارة هذه الكنيسة لكثرة ما كان [illegible] من معجزات الشفاء. وممن قدم الى زيارة كنيسة مينوتيس هذه صفرونيوس [illegible] اورشليم بين سنة ٦١٠ و٦٢٠ والذي من رمد كان قد اصاب عينيه. [illegible] هذه [illegible] كتب مجموعة احصى فيها مئتين معجزة حدثت في الكنيسة المذكورة في ايامه. [illegible] موقع هذه الكنيسة فكان بين شاطئ البحر شرقاً وبين اكمة رملية هناك غرباً. وكان اللاجئون يشاهدون [illegible] هذه الكنيسة التي كانت محوطة بنطاق له مدخل من جهة البحر وفي خارجه بركة كائنة عن يمين الباب عليها اسم شفيعي الكنيسة. وفي داخل النطاق الكنيسة مع رواق يجاورها بيت الشماس الاهلي وعائلته. اما الغرف الموجودة في الدوقة المعدة للمرضى المستشفين فكانت كل واحدة منها تسع شخصاً او اثنين. وكان يحاذي في الكنيسة رفات الشهيدين مع بيل جامعة القديس كيريوس الطبيب. وكان زيت المصباح المنار امام القبر يوزع على المؤمنين من الزوار اما التقادم والنذور فتدل على حدوث الاشفية الاكثر

ولما كان القرن الرابع بعد المسيح كثر عدد الرهبان في الشرق وخصوصاً في مصر حيث ملأوا البراري والقفار . بيد ان كثيرين منهم انشأوا لهم ايضاً في المدن كالاسكندرية وكانوب اديرة ومعاهد . وممن اقام في كانوب مدة طويلة القديس امون (Ammon) الّا انه بارحها على اثر موت القديس اثناسيوس وولى وجهه شطر الاراضي المقدسة . ثم توجه الى ممفيس في مصر وتنسك فيها

والظاهر ان تاريخ الحياة النسكية لم يتلألأ سناؤه في كانوب الّا بعد دكّ اركان معبد سيرابيس في سنة ٣٨٩ لانه كان لا يزال للوثنيين في ذلك المعهد نفوذ كبير فكانوا يحتشدون حول معبودهم سيرابيس لاقامة شعائرهم الدينية وحفلاتهم الخجلة . اما بغضهم المسيحيين فحدّث عنه ولا حرج فانهم لم يدعوا فرصة تمرّ الّا ويعمدون الى قذفهم باللعنات ورشقهم بالشتائم . وكان لهم في كانوب ايضاً معهد لتعليم مبادئ السحر والطلسمات . وكانوا يكرمون هذه المدينة على ما قال روفينوس لانها والعياذ بالله مقر آلهتهم وشياطينهم . وظلّ الامر كذلك الى ان اشتدت شوكة النصرانية فاجتمع المسيحيون وعقدوا الخناصر على تقويض دعائم الوثنية فوثبوا يوماً على هيكل سيرابيس وقوضوا اساساته وتركوه خراباً يباباً . وقيل ان البطريرك ثاوفيلوس طفق على اثر تلك الحادثة يبني الكنائس والمعاهد المقدسة في كانوب ويزينها بالتقادم الثمينة والصور النفيسة . وشاد هناك ايضاً على اسم الرسل كنيسة فخيمة وانشأ فوق ذلك ديراً كبيراً استقدم له في اول الامر طائفة من رهبان اورشليم لاسكانهم فيه . فلم يلبث هولاء ان اخلوا هذا الدير خوفهم من شر الابالسة الذين كان يتكرر ظهورهم فيه المرة بعد المرة . وعليه فاحلّ محلهم رهباناً مصريين من المنضوين لقانون القديس باخوميوس فعملوا على طرد تلك الارواح الشريرة بصلواتهم الحارة واطلقوا على ذلك

خطوطة من غيرها . وقد صفح احد الولاة المدعو ميمسيون (Memesion) الجدران القريبة من قبر الشهيدين بالرخام الثمين . ويرى هناك ايضاً رسم السيد المسيح والقديس يوحنا المعمدان والقديس كيريوس . وامام هذا الاخير يسرح الوالي المذكور بنعمة الشفاء التي نالها على يد القديس كيريوس وكان في كنيسة تيترابيلون (Tétrapylon) الكبرى في الاسكندرية رسم تغلب عليه اسم الصورة (l'image) وهذه الصورة تمثل السيد له السجود تحف به العذراء المجيدة والرسل والانبياء والشهداء وهم يتقبلون التضرعات من القديسين ويوحنا الجاثيين امام السيد المسيح Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne, *article* ALEXANDRIE

الدير اسم «دير التوبة» فشرع بعد ذلك يتوافد عليهم من كل الاقطار شرقيةً كانت ام غربيةً رجالٌ تائقون الى اعتناق المعيشة النسكية . وهذا ما حدا بالقديس ايرونيموس الى ترجمة قانون القديس باخوميوس الرهباني من اليونانية والقبطية الى اللاتينية للرهبان الذين اتوا هذا الدير من برية الاسقيط وخصوصاً لمن كان منهم في كانوب لان اكثر هؤلاء كانوا يجهلون تماماً اللغتين القبطية واليونانية

وعند نهاية القرن الرابع أمَّ دير كانوب القديس ارسانيوس - وكان هذا القديس العظيم يشغل منصباً كبيراً في القسطنطينية ايام كان تيودوسيوس الكبير امبراطوراً فيها غير انه لم يقم مدة طويلة في دير كانوب بل قصد خلوة اخرى في جهات برية الصعيد ثم توجه الى ترويه (Troi) قرب ممفيس وفي اواخر ايامه عاد مرة اخرى الى كانوب ثم قفل عائداً الى ترويه ايضاً وتوفي فيها براحة القداسة

وما كادت تذاع بدعة الطبيعة الواحدة في الديار المصرية حتى اخذ اصحابها في اواسط القرن الخامس يبثون زوان بدعتهم بين مؤمني كانوب على انهم لم يستطيعوا ان يوقعوا رهبان دير هذه المدينة الافاضل في حبائل بدعتهم لانهم كانوا من اشد الناس تمسكاً بوديعة الايمان على الرغم مما سامهم ديوسقوروس البطريرك الاسكندري بطل هذه البدعة من الاضطهاد . وروى فريق من المؤرخين ان القديس يوحنا السلمي زار دير كانوب في القرن السادس للميلاد ومدح كثيراً حياة رهبانه . وكان ايضاً على بعد ميل واحد من الدير المذكور دير آخر يدعى «دير السجن» اقام فيه ذلك القديس شهراً واحداً وقد أعجب مما رآه في رهبانه من سمو الفضائل الزهدية حتى انه قال فيه ان هذا الدير هو المكان الذي فيه تنتفي اللاذ البشرية باسرها . ومنذ ذلك العهد اخذ سكوت المؤرخين يخيّم على اخبار كانوب رويداً رويداً الى ان جاءت فتوحات العرب فطمست معالمها وادخلتها في خبر كان . وظلّت هكذا حتى نشطت مصلحة الآثار المصرية بالاشتراك مع الجمعية الاثرية الملكية في الثغر الاسكندري من نحو سنتين وشرعت باجراء حفريات خطيرة في انقاض تلك المدينة تحت إشراف العلامة برتشيا الشهير . وممن ساعد في ذلك ايضاً صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر . ولعلنا نعود الى وصف ما كُشف هناك من العاديات التي لا بدَّ من ان تميط القناع عمَّا كان لا يزال مجهولاً من اخبار تلك المدينة الى يومنا افادة لقراء المشرق وبالله تعالى التوفيق

زاهية او ضحيّة الأزياء (المودا)

رواية تاريخيّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

قال الكاهن الراوي: قرُب في تلك الاثناء عيد الفصح المجيد ودخلنا جمعة الآلام. فلم اشأ ان يمرّ هذا العيد المبارك على زاهية دون ان تشترك مع المؤمنين بقبول الاسرار وهي لا تزال منهوكة بدائها العضال وفي خطر الموت. فعُدت اليها في بدء هذا الاسبوع واعلمتني رئيسة المستشفى انها ترغب في عيادتي وانها حدث لها بعض نوبات من مرضها لكنها لم تظهر شيئاً من التذمّر كما في السابق وكانت ترضى بما نالهما من النوائب التقويّة وترددها كما تسمعها منّا

فلمّا دخلتُ عليها صرخت: آوّاه يا ابتِ خفتُ ان افارق الحياة قبل ان اتمم لك حديثي فتقرّني اضلالي وترشدني الى خلاص نفسي

قلتُ: في هذه الايام القريبة من الاعياد الفصحيّة تزيد اشغالنا الراعوية ولا تُبقي لنا زمناً فارغاً على اني كنتُ لا ازال اذكرك امام الله في وقت الذبيحة الطاهرة وانتظر اخبارك من راهبات المستشفى

وللحال استأنفت زاهية حديثها فقالت:

• ادركتُ الرابعة عشرة من عمري فكانت [illegible] امي ان يخطبني احد وجوه مدينة طرابلس. وهذا ما كانت تنويه حين [illegible] امي بتعليقي بتلك الازياء التي سبق ذكرها. على ان الامر حدث على خلاف [illegible] كثيرا يرونني كاني براقش في كل لون اكون. ساء ظنّهم في [illegible] يتهامسون بينهم في شأني فيقولون: لا خير في فتاة كهذه مع ما يظهر [illegible] من خفّة الطباع والطياشة.

• وبعد ان خطبني واحد منهم وعلم ما [illegible] علي من المال في ملابسي وازيائي ارتدّ عن نيّته خائفاً على دراهمه ان احرقها في تلك الملابس فلا يبقى له ما يتعيّش به وهو لا يربح من شغله إلّا كفاية معاشه

• ونحن كذلك اذ انتشبت الحرب الكونيّة. واخذت الدولة تحشد الشبان للعسكرية فأمسكتْ احد اعمامي وهرب الآخر الى حوران فبقيتُ وحدي مع امي.

وما عتّم ارباب الحكومة ان ضبطوا اموالنا ولم يبقوا لنا ألّا الزهيد القليل مما لا يكاد يكفي لمعاشنا

فتكرت امي ان تتخذني كوسيلة لسدّ عوزنا فسلّمتني الى رجل كان فاتحاً مقهى كبيراً يزدحم فيه الشبان من كل الطوائف فجهّزني بثياب تجلب ابصار الوافدين الى المكان بحيث يروق لهم نظري. فكانوا اذا رأوني يتبسّمون ويتغامزون وربّما اسمعوني من كلام الغرام ما كان يخدش مسامعي فكانت تغلب عليّ افكار العالم وشهواته. ولولا نعمةٌ خاصة من الله الكثتُ اصبحت من عدد المومسات وانما نجّاني الله من وقاحتهم بكثرة ما كان هناك من شغل الخدمة حتى منتصف الليل فاذا اويتُ الى فراشي سقطتُ لا أعي لنفسي لمزيد التعب

وكان في جوار المقهى رجل تقيّ كان عرف والدي وادرك ما يتهدّد عفافي من الخطر فكان اذا رآني في الخلوة يحذرني من أشر اولئك الشبان وتوقهم. وكان بحضوره في القهوة وزياراته يردعهم عن سوء نيّاتهم. فجازاه الله خيراً عن فعله هذا فانهُ كان اشبه بملاك حرسني من زلق الاثم

•بلغنا الى سنة الحرب الثالثة فتفاقمت الاحوال وزادت المجاعة وكان صاحب المقهى طمِعاً بالدرهم يريد ان يقلل اجرتي. فما رضيتُ بذلك ووالدتي لاسيا اذ رأتني منهوكة القوى. وكان بلغها انهُ أُنشئ في المدينة مرقص يحضره ضبّاط الاتراك ومحبو الملاهي فعرضتني على صاحبه فلمّا رآني رشيقة القدّ رائعة المنظر رضي بي. وكانت امي لتحصل على مرغوبها البستني الملابس الخلاعية الجديدة التي اخذت تروج بين الفتيات القليلة الحياء. فقصّرتْ اكمامي الى منكبيّ وقوّرتْ فسطاني الى منتصف صدري المكشوف وكان الفسطان لا يبلغ الى ركبتي.

• ففي هذا الزيّ المخجل دخلت ذلك المرقص وتعلّمت حركاته وطرائق تغنجه وتشوّقي الاغاني الغرامية الشائعة. فكنتُ في اوّل امري أعاني شقّ النفس بمزاولة هذه المهنة الشائنة إلّا انّ تنشيط اصحاب المحلّ وتصفيق الحضور عند ظهوري على المرسح صلّبا جبيني حتى اعتدتُ العمل وذهب عني كل خجل فيطرب الناس لصوتي الشجيّ ويستحسنون حركاتي في الرقص حتى حصل ربحٌ كبير بواسطتي لاصحاب المحلّ. ونلنا انا وامي قسمٌ منهُ

• على انَّ تلك الملابس الخلاعيَّة سبَّبت لي عللاً لم ازل متأثرة منها . وكان اوَّل ما اصابني زكام شديد اذ كنتُ في هذه الحفلات اتصبَّب عرقاً فاذا مررتُ امام نافذة مفتوحة او مجرى هواء وصدري مكشوف اشعر بقشعريرة تؤدّي بي الى زكام قوي . بل تحوَّل مرَّة ذاك الزكام الى ذات الرئة واشتدَّت عليَّ العلَّة فبقيت نحو شهر طريحة الفراش بل خيف على حياتي منها

• وخرجنا مرَّة اخرى في السنة ١٩١٧ الى بساتين طرابلس عند نهرها لحفلة دُعي اليها مع ضبَّاط الاتراك رجال من الالمان في خدمة الدولة من حلفائها في الحرب . فاراد اصحابنا ان يلهوهم على الرغم من ويلات الحرب فاعدُّوا لهم هناك مأدبة فاخرة ختموها برقص كنت انا احدى الراقصات فيه . على انَّ أسرجة الحديقة في تلك الليلة جمعت علينا بعوض المستنقعات فلسعت انا بازنادي المكشوفة وما لبثت ان حسستُ بحمّى الملاريا التي لزمتني تلك السنة وأنهكتْ قواي بنوباتها المتوالية فلم انجُ منها الّا بعد اللتيا والتي وحتى اليوم اظنّ ان مرضي الحاضر هو من عواقبها

• ومررنا يوماً في حيّ المسلمين فرآني احدهم بهذه الثياب الخلاعيَّة وساقيَّ مكشوفتين فاشمأزّ لهذا النظر متمضاً وحرَّش عليَّ كلبه فاقتحم عليَّ الكلب وعضَّني عضَّةً اليمة اثرها ظاهر الى اليوم في ساقي اليسرى . ورمى عليَّ آخر مزيجاً كيمويّاً شوَّه به صدري وملابسي . وكانت النساء المسلمات اذا لقينني في طريقهنَّ وهنَّ متحجبات متستّرات بالحبرات يشتمنني ويلعنَّ تلك الازياء الخلاعيَّة ويقذفن مَن يلبسها بسهام السبِّ والتقريع . فكانت كل هذه الاهانات تحيك في صدري فألوم امي التي عرَّضتني لها . إلا انَّ روح العالم كانت قد اسرتني بحيث لم استطع ان اجرّد نفسي من هذه الترعيلات واقاوم امي التي ربَّتني على حبّها

• انتهت اخيراً بعد اربع سنوات الحرب المشؤومة التي ذقنا فيها الامرَّين فاحببتُ ان افكَّ حالي من تلك الخدمة الشائنة واعود الى بيت امي فاعيش معها بالهدوّ والسكينة وقد حصلتُ بتعبي على ربح كافٍ لعيشنا سنتين او ثلاث سنين . لكنَّ امي طمعت بالمزيد وارادت ان تقسرني على البقاء في المرقص المذكور

• فساءني الامر جداً واردتُ ان اتحرَّر من سلطتها . وكانت قدمت في ذلك الوقت جوقة عربية للتمثيل من مصر وهي عائدة الى بلادها بعد ان تجوَّلت في مدن

الشام فانتظمتُ في سلكها بدون علم امي وركبت البحر معها الى الاسكندرية وغيّرت اسمي سلطانة باسم زاهية

•فكان اقبال الناس على تمثيلي في المراسح في الاسكندرية والقاهرة وعلى استماع غنائي ومعاينة رقصي اكثر من طرابلس . فعُرضتْ صورتي على الجدران وتراكض الجمهور لحضور فصولي . واذ كنتُ هناك غريبةً لا يعرفني احد من اهل مصر تعرّضتُ لاخطار اصاب نفسي منها عوارض سيئة اذكرها بكل أسف واطلب من الله ان يغفرها لي برحمته

•قضيت في مصر سنتين الى اواخر العام الماضي وكنت حصلت من شغلي على ٦٠٠ جنيه فرأيت ان في ذلك كفاية لمعاشي . فبلغ احد الشوام القاطنين مصر ما جمتُ من المال فدعاني الى الزواج فأجبتُ الى دعوته مؤملة في الاقتران به خيراً فتزوجنا زواجاً مدنياً وزوجي يتظاهر بسعة الحال والشغل الرابح فقضيتُ معهُ شهراً وهو يحسن اليَّ المعاملة . وكنا أجرنا لنا حجرةً في احد احياء القاهرة . فبينا انا في ذلك البيت وزوجي معي اذ قمتُ يوماً عند الصباح فلم اجد له اثراً فظننتُ انهُ خرج لشغل هامّ فانتظرتهُ الى المساء فلم يأتِ وبقيت لا اعرف ما حدث له وفتحتُ صندوقة مالي فاذا نصف دراهمي التي كانت فيها قد سلبت . فكان زوجي اختلسها وتوارى ولم اعد اقف له على خبر مع إفراغي الوسع في طلبه

•فلما عرفتُ ذلك اصابني منهُ نوعٌ من البرسام ولم اعد أثق باحد . ثم صرت اشعر برغبة عظيمة في العود الى [illegible] . [illegible] مصر ضايقتني اي مضايقة فركبت القطار الى بور سعيد

•فنزلت هناك لأبيت [illegible] مركب ينقلني الى بيروت فأعيش فيها معتزلة بعيدة عن امي متبتّعة بما بقي [illegible] من المال وهي ٣٠٠ جنيه . فنزلتُ في لوكندة وبتُّ فيها ليلتي . فلما قمتُ عند الصبح واذا بحقيبة دراهمي قد توارت فدعوت صاحب النزل وعرضتُ عليه الامر وصرختُ وتهدّدت فكان جوابهُ انهُ لا علم له بذلك واني عند دخولي [illegible] على ما لديَّ من الدراهم فلعلي اختلقتُ هذا الخبر الكاذب لاطالبهُ بها . ثم اضاف الى ذلك قوله انَّ لوكندته كبيرة يبيت فيها ناس كثيرون فلا طاقة له بالاستدلال على السارق وكان من الواجب عليَّ ان اقفل في الليل

باب غرفتي التي تركتها مفتوحة لسبب الحرّ

«فبقيتُ محتارةً لا ادري ما اعمل وضاقت الدنيا في عيني فاصبحت كالمجنونة. فاعلمتُ الشرط بما اختُلس لي من المال فما كان لتفتيشهم من فائدة وذهبت كل اتعابي ادراج الرياح. ولم اجد واسطة لمواصلة سفري الى بيروت الّا ان ابيع ساعتي الثمينة باثنتي عشرة جنيه فصرفت ربعها في السفر ووصلت الى بيروت لا اعلم ما سيصيبني فيها فأجرتُ الغرفة التي وجدتني حضرتك فيها مريضةً سقيمةً

«واخذتُ في اول حلولي في بيروت ادور في المدينة طالبةً شغلًا ارتزق به فما كان احد يقبلني وانا لا اعرف عملًا إلّا قليلًا من الخياطة. فأيست من امري ورأيتُ ان اعود الى حرفتي من الرقص والغناء في الملابس المتهتكة. فدخلت مقهًى راجت فيه هذه الصناعة إلّا انّ ربحي منها كان زهيدًا مع هبوط اسعار الورق المالي فصرت اقتّر على نفسي في اكلي فضعفت صحّتي. واذ حاولت في ليلة الرجوع الى تلك الغرفة اشتدّ البرد وعصفت الريح ونزل المطر كالسيل. فسرتُ متأذّية من هذا القرّ الشديد وانا في لبس الخلاعة لا يستر صدري وذراعيّ شيء من اللباس وشعر رأسي مقصوص على الزي الجديد المدعو بالشالبش. فبُحّ صوتي ولحقتني سعلةٌ شديدة ولم ابلغ الى غرفتي حتى لزمتُ الفراش واشتبكتني الحمّى. ولا شكَّ اني كنتُ فارقتُ الحياة لولا بعض النساء من الجارات اللواتي تلطّفن وقدّمن لي شيئًا من المساعدة الى ان فكّرن فدعونَ حضرتك لعيادتي. فوجدتني قاطعة الرجاء من الحياة. مفضّلة الموت على حالتي السقيمة. [illegible] على والدتي التي بسببها حصلت لي كل هذه المشقّات والنكبات

«فيا ليت لي صوتًا يسمعهُ كلّ البنات المغرورات بهذه الازياء الخلاعيّة [illegible] كل واحدة منهنّ: ايّاكِ ايّاكِ وهذه الملابس فانّها تعرّضك لفقد دينك وصحّتك وشرفك معًا. كم كانت أليق واهنأ ملابسنا البسيطة المحتشمة. تلك الطرحة التي كانت [illegible] اطار لوجه الفتاة. تلك الفساطين الضافية الذيل الساترة العنق المتعلّقة بنطاق لطيف يُظهر رشاقة القامة دون ان يضغط الصدر ويشوّه الاعضاء الباطنة

«وانت يا ابتِ الذي وقفت على قصّتي المخجلة ارجوك كل الرجاء ان تبلغ امنيّتي هذه الى كل من تصادفهُ في طريقك

قالت هذا وسكت لسانها ونطقت عيونها فسالت منها الدموع مدرارًا

قلتُ: لقد صدقتِ يا ابنتي بنسبة بلاياكِ لتلك الازياء المستقبحة كما اني اجد لكِ بعض العذر لسوء صنيع امك معكِ ولكن الربّ قد قادكِ الى هذا المستشفى لكي تسترحميهِ وتسألي السماح عن ما فرط منكِ جهلاً. وها قد دخلنا جمعة الآلام جمعة الرحمة والغفران فأعدّي نفسكِ لقبول الاسرار المقدّسة فانها وحدها تشفي آلام قلبكِ وتزيل عنكِ هواجس صدركِ. ولي الامل انكِ اذا حصلتِ على هدوّ نفسكِ تقرّبين ايضاً زمن شفائكِ

ولمّا كان صباح يوم خميس الاسرار جئتُ اليها باكرًا ومعي القربان الاقدس فنهضت على فراشها واعترفت بخطاياها بكل اهتمام وبندامة صادقة. ثمّ ناولتُها جسد الربّ فتلألأ وجهها الشاحب اللون فرحاً وظهرت كأنها غائصة في تأمل عميق لا تشعر بما يحيط بها. فاخذتُ اتلو صلوات الشكر وهي لا تبدي حراكاً. فلمّا انتهيتُ منها فتحت عينيها الزرقاوين وقالت: اني اشكرك كلّ الشكر يا ابتاه فلي في هذه الساعة قد ذقتُ تعزيةً لم اشعر بها في حياتي وقد طلبتُ الى ضيف نفسي ان ينقلني من هذا عالم البوار الى جوارهِ. وكأني قد سمعتُ صوتهُ يقول: فليكن لكِ حسب قولكِ

فحرّضتُها على الثقة بالله وبصليب ابنهِ الفادي وعلى طلب شفاعة العذراء امّ المراحم ثمّ ودّعتها راجياً ان اعودها في اليوم التالي

فلمّا كان منتصف الليل وانا جاثٍ في الكنيسة حيث كان القربان معروضاً كمألوف العادة واذا بشبحٍ غريب انتصب امامي فعرفت وجه زاهية فنظرَت اليّ واسمعتني هذه الكلمات: «ابتِ قد دعاني الله قبل ساعةٍ الى جوارهِ وقد حكم عليّ بعذابٍ موقت في المطهر فرحمني لاجل توبتي على يدك. فارجوك ان تذكرني في صلاتك. وقد اراني الديّان شخص والدتي في اتون من النار لاساءتها تربيتي ولتحليتي بثياب الخلاعة. فبلّغ كل من تجدهُ من الفتيات المفتونات بهذه الملابس انهُ ينتظرهنَّ يوم الدين انماهنّ عقاب أليم»

قالت هذا وتوارت عن نظري. وبقيتُ مرتاباً في صحّة الرؤيا حتى اذا كان الصباح ارسلت رئيسة المستشفى واعلمتني بموت زاهية وانها قضت ولسانها يلهج بشواعر التوبة مكرّرة اسمَي يسوع ومريم. فتحققت صحة رؤياي واسرعت للصلاة عن نفسها

ثمّ حضرت دفنها في عصر النهار في نحو الساعة التي تحتفل الكنائس بدفن المسيح فوجدت في هذه المناسبة علامة جديدة لخلاصها. رحمها الله رحمةً واسعة! (تمت)

نبذة مختصرة

في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠ــ١٨٦٢)

لشاهد عياني (تتمة)

(تنبيه) كنا كتبنا في مقدمة هذه النبذة انّ كاتبها الكاتب الرحالة الشرقي يوسف فرحيان وقد افادنا حضرة الوجيه باسيل قليوبجيان في رسالة من القاهرة تاريخها ١٦ نوفمبر انّ كاتبها المرحوم انطون غالبجيان خوري رعيّة الارمن الكاثوليك في بيروت بوقتها . وان حضرة الكاتب كان انتسخ منها نسختين كانتا عند اخيه المرحوم دير مكرديج الذي استشهد بفلايع ماردين سنة ١٩١٥ . فنشكر حضرته هذه الافادة التي تنفي رَيْبنا وتزيد ثقتنا بعلم كاتبها

الحادث السادس عشر

في اسباب فتنة دمشق واضطراب المسيحيين

قيل انّ احمد باشا والي الشام عمل اتفاقاً مع خرشد باشا والي صيدا وبيروت في أن يقتل مسلمون بلاد سوريا النصارى فيقوم حينئذٍ مسلمون البلاد الأخر ويقتلون نصارى بلادهم وتصير ديانة واحدة في كل المملكة العثمانية المحروسة

وقيل ايضاً من المذكور انه قبل حدوث الفتنة باربعين يوماً صار يمنع النصارى من الخروج الى البساتين والقرى حسب عادة المدينة في زمن الصيف . وكان يُظهر دائماً بأقواله انهُ مزمع ان تصير فتنة في المدينة واختباط كبير . ولهذا أصلح مدافع القلعة وكان يضرب احياناً المدافع لكي يرى الى اين تصل . وقصد ان يرفع عسكر النظام الى القلعة ليحفظهُ من الضرر . وقيل عنهُ انهُ مراراً كثيرة سأل خرشد باشا في انهُ اذا صار فتنة في المدينة هل يضرب عليها المدافع ام لا

فن هذه الاخبار وقع الخوف والاضطراب في قلوب النصارى . وليس من هذا القبيل فقط بل ومن قبل خراب حاصبيا وراشيا والقرى القريبة من الشام . ثم ومن قبل جبل لبنان وحريق قرى المتن والناصف والشحار وساحل بيروت (٣٥) واقليم جزّين والمرقوب وغيرها من قرى النصارى هناك . وكان يوماً بعد يوم يزداد الخوف والاضطراب في الشام ولاجله طلب باشا العسكريّة من احمد باشا ان يأمر في ان يطوف العسكر بكثرة في المدينة ليلاً ونهاراً لمنع الفتنة . ولهذا صار ترتيب في ان

كل كبير عالم يحفظ محلّة التي يكون ساكن فيها نصارى. وان لزم الامر يستخدم عنده ناساً من شبّان المسلمين لنجاح حفظ النصارى. ومن ثمَّ صار يطوف العسكر في المدينة اجواقاً اجواقاً في الليل كله وكان مع كل جوقة اناس من اكابر المسلمين. فهذا الترتيب كان سبباً كافياً لجهّال المسلمين ليقتنوا الاسلحة ظاهراً مدّعين انهم خادمون ثاوات محلّات النصارى

واما السبب الكبير الذي اصدر الخوف في قلوب المسيحيين هو هذا ان احمد باشا والي الشام لم ينزل الى الجامع الكبير لاجل الصلاة في يوم عيد الضحيّة الواقع في ٢ حزيران نهار الجمعة. وليس فقط لم ينزل بل ارسل عساكر احاطت بالجامع الكبير المذكور وكانوا مستلّين السيوف ومستعدين للضرب. ولمّا سُئل عن سبب هذا العمل قال انهُ عالم انّ النصارى في ذلك اليوم كانوا مزمعين ان يهجموا على الجامع الكبير ويقتلوا المسلمين. وبهذا الخبر صار قلق عظيم بين المسلمين وهمّوا لقتل النصارى. واما المسيحيّون فاصابهم الخوف الشديد وعسكرّ في قلوبهم ولاجلهِ عدموا رقاد الليل ولذّة الأكل والشرب ونُزع منهم كل ما لهم من الفرح وادركهم الحزن المميت. فصار الرجال لا يخرجون في النهار من بيوتهم. وفي الليل كان الاقارب يجتمعون عند بعضهم بعض متحادثين بهذا (٣٦) الامر وينتظرون متى تكون نهايتهُ وكيف سيتمّ.

والاضطراب الاكبر الذي ادرك المسيحيين هو حين وصل خبر زحلة ودير القمر وان الدروز انتصروا على النصارى بالنوع المار ذكرهُ. ومن ثمَّ سقطت قلوبهم في جب الحزن ووافاهم الكدر العديم التعزية وصاروا في حال اليأس العظيم. و... المسلمون فرحوا كثيراً من قبل هذا الخبر. واشتدّ عزمهم للفتك بالنصارى وصاروا ير... قبون الفرصة

ولهذا اخذوا يعملون صلباناً من ورق ويرمونها في الطرقات ويصوّرون ايضاً من الرصاص صلباناً يلقونها على الارض وعند اجتياز النصارى كانوا يلزمونهم بالدوس عليها. والذي ما كان يدوس على تلك الصلبان كانوا يهينونهُ ويضربونهُ كثيراً. ولمّا كثر هذا الخبر وشاع في المدينة كلها أخبرَ احد النصارى الوالي بذلك وهو ارسل وقبض على خمسة عشر شاباً من المسلمين الذين نظروهم يعملون صلباناً ويلزمون النصارى بالدوس عليها. وبعده في ٦ تموز اخرج منادياً ينادي في المدينة قائلاً: من قبل افندينا

احمد باشا والي الشام الخ أمن وامان لا احد يخاف من شيء. كل انسان يذهب الى عمله والحوانيت تُفتح ويصير البيع والشراء. ولا احد عاد يحمل سلاحاً الخ. فمن هذا القبيل امنت النصارى وصاروا يخرجون الى الطرقات. وفي اليوم الاثنين الواقع في ٩ تموز مضوا جميعاً الى الاسواق والحوانيت. ففي اليوم المذكور امر احمد باشا ان الشبان المسركين لاجل عمل الصلبان يوضع في ارجلهم قيد الحديد ويمشوا بهم ليكنسوا الارض في محلات النصارى. واذ اكملوا امره وبلغوا بهم الى المكان المدعو طالع القبة حينئذٍ هجمت عليهم (٣٧) المسلمون وقصدوا أخذهم. واما العسكر المحافظون فقاوموهم وما ارادوا تسليم المقيّدين. ولكن لما سمعوا صوت المدفع القوّص من القلعة حينئذ تركوا المقيّدين ومضوا. فالمسلمون اخذوهم واطلقوهم. ومن تلك الساعة صاروا يضربون النصارى بالعصي والسيوف وبدأوا بالقتل والنهب والحريق وبقوا مثابرين على ذلك الى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور

الحادث السابع عشر

في كيفية ذبح الرجال

تبّاً لها من ضيقة ومصيبة التمّت برجال دمشق المسيحيين من ذا الذي يقدر ان يصوّر حال اولئك المرثي لها. لعمري لا قلم ولا لسان يقدر ان يصف ذلك بكفاية حتى ولا احد يقدر ان يتصوّرها بدون النظر عياناً. فكنا نرى الرجال يركضون وهم حفايا متعرّون طالبين الهرب وماكانوا يجدون لهم باباً ولا سبيلاً وكانوا يبكون كالاطفال بدموع وعويل كثير. وكنت تراهم كالسكارى والساهين لا يعقلون شيئاً من الصواب لتدبير حالهم وكأنهم عميان لا علم لهم اين يذهبون من جهة اعدائهم. والبعض منهم كانوا مختبئين واعضاءهم ترجف على الدوام وقلوبهم تخبط في وسط احشائهم الليل والنهار. والسنتهم كانت ناشفة يابسة عديمة الحركة في افواههم. واعينهم شاخصة واوجههم مكمودة كالاموات. وكانت على مرور الاوقات تأتيهم غمرات المنون صادرة من قبل اصوات اعدائهم وعجاتهم المترادفة. وكانوا يرعبون صفير الارياح (٣٨) ونبيح الكلاب. وكانوا عديمي الحركة والتنفس لا يأكلون ولا يشربون حتى ولا يسعلون ولا يعطسون. والمكان الذي كان يقدر ان يحتوي على عشر

ناووس كان يختفي فيه مائة نفس وهم قيام على ارجلهم بازدحام شديد في زمن حرّ شهر تموز

فيا لها من ايام مكدرة وليالي محزنة! ويحاً لمن ابتهج بها ونوحاً على من وُجد فيها! ترى كم من الصراخ! ترى كم من النحيب! كم من الندب والبكاء. الاليم الان المسلمين كانوا يمسكون رجال النصارى وبنيهم معاً ويذبحونهم بعضهم فوق بعض جاعلينهم كراديس كراديس كأنهم تلال من الحجارة. وكانوا يقطعون البعض منهم بسواطير القصّابين كما يُقطع لحم الغنم. والبعض كانوا يقطعونهم بالبلطات التي يُقطع بها الحطب. والذين كانوا يهربون من ايديهم الى السطوح العالية والبعيدة منهم كانوا يصطادونهم برمي الرصاص. والذين كانوا يختفون في الآبار العميقة من المياه كانوا امّا يموتون من شدّة الخوف والجوع ورطوبة المكان ام كانوا يخرجونهم خارجاً بحيل الامان ويقتلونهم او كانوا يميتونهم بانواع شتى من الاحتيال وهم في مكانهم. والذين كانوا يهربون خارج المدينة كانوا يجدون الدروز والعرب الداخلين اليها فيقتلونهم وكثيرون الذين ماتوا من شدّة الخوف ومن ضيقة لهيب نار الحريق

خبرونا عن الشيخ عبدالله الحلبي انهُ لما كان اليوم الاول والثاني وذُبح النصارى قليل اشاع خبراً في انّ النصارى قتلوا اثنَين من المسلمين وان نصارى القدس مزمعون ان يهجموا على المدينة لذبح (٣٩) المسلمين . ولهذا ارسل ابنهُ واستدعى مسلمين الصالحيّة لاعانة مسلمين الشام. ومن هذا القبيل كثر ذبح النصارى في اليوم الثالث والرابع حتى بقي الى اليوم ١٥ تموز. فصار عدد الذكور المقتولين من مسيحيين دمشق اكثر من ثلثة آلاف نفس عدا الغرباء والناس الغير المعروفين. ولكثرة ازدحام اجساد المقتولين فسد الهواء من رائحتهم وانتن التراب من دمائهم . ولذلك صار المسلمون يحرقون تلك الاجسام ويرمون منها في الانهر والآبار. فكنت ترى اجساد الناس على وجه المياه كأنها الواح من الاخشاب تأخذها المياه حيث تشاء وتريد

الحادث الثامن عشر

فيما ادرك النساء بتلك الأيام

انّ حال مسيحيين دمشق الجزيلي الاحتشام والادب حقًّا لا يوصف بلسان ولا

يحرّر بقلم لانك كنت ترى الستّات مع الجواري البتولات يبكين مع العجوزات نادبات على اولادهنّ ورجالهنّ واخوتهنّ المذبوحين امام اعينهنّ واللاتين تجاههن وكنت تراهنّ حفايا ومكشوفات الرؤوس وليس عليهنّ ما يسترهنّ هذا القليلات منهن لانّ اعداءهنّ كانوا يسكونهنّ ويأخذون ملابسهنّ والذي كانوا يتركونه لهنّ كانوا يخرّقونه عاراً لاحتشامهنّ وكانوا يفتّشونهنّ على المال بفحص مدقّق ليس في الجيوب والزنانير فقط بل في اجسادهن دون حياء (٤٠) وكانوا يضربونهنّ قائلين: ارينا رجالكنّ ومالكنّ والّا سنذبحكنّ كالرجال. ويا ليت هذا فقط كان مصاب الناس بل قد زادوا شرّاً باتمامهم التبايح مع البتولات والنساء الاديبات. الامر الذي لم نسمعهُ عن الدروز والمتاولة

خبّرونا عن احدى ستّات النصارى الدمشقيين الجزيلة الاحتشام انها كانت هي ورجلها مختبئين عند رجل شريكهما الذي كان يعيش من فضل مالهما. فهذا الرجل المحافظ تقدّم الى الامرأة وقال لها: يا ست ارغب منك اليوم ان تعملي لنا طعاماً لآكل من طبيخ يدك. اجابته الامرأة بقولها: يا سيدي وان يكن لم اطبخ قط ولكن اكراماً لجنابك اطبخ الطعام الذي تأمرني به. فلمّا كانت الامرأة تهيّئ الطعام طلع الرجل الى العلّية حيث كان زوج الامرأة مختبئاً فذبحهُ وقطعهُ ارباً ارباً وغطاه بلحاف واستدعى الامرأة ولمّا جاء بالطعام واكل وشبع قال لها: ها هوذا زوجك تحت اللحاف انظريه. فعند مشاهدتها لزوجها على الحالة المذكورة اخذت تبكي وتنحب. حينئذٍ قال لها الرجل الحافظ: ما لك تبكين وهجم عليها وعرّاها. ولكن لانّ رأى موتها اسهل لديهِ من سلب احتشامها يئس وقتئذٍ من الحصول على غرضهِ و... جسدها من الجروحات والقاها هكذا عريانة الى خارج داره من نافذة تلك العلّية (٤١)

ثم قد فُقد نساء وبنات كثيرات ولم يُعرف اين اثرهنّ. فقط حُكي من ست بنات اثنين قُدّمن من المسلمين هديّةً لاحمد باشا والي الشام وان المذكور اخذهنّ مع نسائه لما خرج من الشام يوم عزلهِ. ثم ايضاً قُتل من النساء مقدار عشرين او ثلثين واحدة حين كنّ يحامين عن موت اولادهنّ او رجالهنّ. وايضاً بعض النساء متنَ من مجرّد الخوف وكثرة الضيقات. ومات غير نساء من قبل السمّ الموضوع في الطعام

المقدَّم لهنَّ احساناً وكثيرات اللواتي اسقطن اولادهنَّ قبل الاتلاد

الحادث التاسع عشر

في اخذ مال النصارى

ان كنا نضع هنا كمّية مال المسيحيين المأخوذ من كل واحد بمفرده حقاً لا يسعنا هذا المختصر. وان وضعنا الجملة بكمّية واحدة ربما يبين ذلك ضرباً من المبالغة. فاذاً نقول انّ المسلمين في دمشق خطفوا كل مال النصارى واخذوا كل اقتنائهم وتركوهم جميعاً يحتاجون للقوت اليومي والكسوة الضرورية. ليت شعري هل احد يشك في كثرة غنى مسيحيين دمشق؟ لا لعمري لانهم قديمون في مدينتهم من زمن السيد المسيح ومهذَّبون بالصنائع والآداب الحميدة ولطف الاخلاق وحسن العشرة وكثرة العلوم الامر الذي لا يمكن نجاحه بدون غنى وافر وعقار ثابت. ثمّ متاجرهم واضحة في العالم ومتصلة ليس في بلاد سورية وافريقية والاناضول فقط بل ممتدّة حتى الاستانة وبلاد اوربة. ثمّ ملابسهم (٢ ث) الفاخرة ودورهم العامرة واثمر الحانهم الوافرة وثيابهم في مدينتهم يعلن واضحاً عن كثرة نعمهم. فهؤلاء الاغنياء المترفو العيش لقد افتقروا وصاروا يتوسلون القوت الضروري والكسوة ويرقدون على التراب. وليس هم فقط بل وكهنتهم ورؤساؤهم وكنائسهم قد افتقروا ايضاً لأن الكهنة والرؤساء لم يأخذوا في هربهم شيئاً من مال الكنائس ومن ثمّ المسلمون افرغوا الكنائس كليا من مالها ومن الزينة التي تجملها قبل ان يحرقوها

خبَّرونا عن كنيسة الروم المريمية انها كانت غنيَّة جداً لكونها قديمة اكثر من جميع الكنائس وقيل انها معمرة في زمن الامام عمر وباذنه. ولذلك كان فيها اواني ثمينة وقديمة الايام مقدَّمة لها من الملوك المسيحيين وغيرهم. وكذلك المسلمون اخذوا مال كنيسة الروم الثانية ومال كنيسة الروم الكاثوليك ومال دار بطريركيتهم ومال كنيسة السريان ومال كنيسة الموارنة. وايضاً اخذوا مال الدير الكبير وكنيسة اللاتينيين التي هي قبل كل كنائس الكاثوليكيين في الشام. ومثله نهبوا دير الآباء العازاريين المشتهر بالغنى ومال كنيسته ايضاً. ثمّ اخذوا مال دير الآباء الكبوجيين

خبّرونا عن احد الكبنة انهُ لشدة خوفهِ من الموت التجأ الى دار البيك الموصلي وقدّم لهُ هدية دراهم نقدية قدرها عشرة آلاف قرش وتضرع اليهِ ان يحفظ نفسهُ من الموت. (٤٣) والبيك المذكور حفظ القس داخل دارهِ ولمّا علم انهُ بعد معهُ عشرة آلاف اخرى اخذها منهُ وقتلهُ

واخيراً نقول ان مسلمي الشام لم يتركوا شيئاً من مال النصارى لم يأخذوه. لانهم لم يكتفوا بأخذ المال والامتعة بل قد اخذوا حتى حديد شبابيك البيوت وأقفال ابواب الدور والمسامير الباقية من الاخشاب بعد الحريق. وليس هذا فقط بل وبعد مرور تلك الستة الايام التي كانوا مثابرين فيها على قتل المسيحيين واهراق دمائهم بقوا الى اليوم الحادي عشر من الفتنة الذي هو في عشرين تموز يفتشون باحثين في بيارة دور النصارى ويحفرون الاراضي في بيوتهم ليجدوا ما كان تحت الردم او مخبأ. فنباً لهذا البخل ولا نبالغ ان قلنا انّ كمية مال نصارى دمشق المأخوذ ثلاثمائة الف كيس وينيف

الحادث العشرون

في حريق كنائس الشام ودور المسيحيين

انّ بغضة اعداء النصارى في الشام قد اماتت كثيرين منهم. وعدم عفافهم قد اشتهر في زمن تسلّطهم. ومن طمعهم لم يكتفوا بمال مسيحيي دمشق بل دفعهم بغضهم الى ان احرقوا بيوتهم ودوراً وكنائس وحوانيت كثيرة. فنار الحريق ابتدأت من فرن قريب دير الآباء العازاريين ومنهُ امتدّت الى كل محلات النصارى فاحترق قسم من الدير المذكور والذي يليه من مدارس البنين والبنات وبيمارستانات المرضى. وكان هذا الدير فريد البناء والاركان ومتّسع جداً وليس لهُ شبه في مدينة الشام (٤٤) كلها

واحترق ايضاً بعض دير الآباء الفرنسيسكانيين الملقب بالكبير فقتلوا كهنتهُ فيهِ وكان عددهم ثمانية وهم من رهبان مار فرنسيس وقيل ان احدهم ذبحوهُ في الكنيسة فوق المذبح الكبير. وذبحوا ايضاً المرحوم فرنسيس مسابكي الذي كان

مختبئاً عند الرهبان المذكورين. وقيل عنه انه قبل ان يقتلوه كلّموه ليُسلم فما قبل وقال لهم: انني انا رجل مسيحي لا اترك ديانتي بل اريد اموت لاجل المسيح بسم الآب والابن الخ. وبعد ذلك ذبحوه(١) ومعهُ غير اناس ايضاً. ثم حرقوا دير الآباء الكبوجيين وبعض الكنائس وقتلوا من قسوس السريان كاهناً كان خادم احدى القرى. وحرقوا ايضاً كنيستي الروم وكنيسة الروم الكاثوليك ودار البطريركية وقتلوا من كهنة هذه الكنائس ستة عشر او سبعة عشر كاهناً. فيكون عدد الكهنة المقتولين ستة وعشرين كاهناً او خمسة وعشرين. وامتدّ الحريق الى كل دور النصارى وعلّاتهم فلم يسلم الّا القليل منها بل انّ الدور التي هي بين مساكن الاسلام كانوا يهدمونها بالمواعيل لكي لا يمتدّ الحريق الى بيوت المسلمين. ونار الحريق بقيت مشتعلة تحرق مساكن النصارى احد عشر يوماً والمسلمون كانوا يوقدونها على الدوام. ومن ثمّ ما بقي للنصارى مأوى يلتجئون اليه. وقيل انّ بعد ثلثين يوماً من ذلك حرقوا بيوتاً كانوا تغاضوا عن حريقها. فكنت ترى تلك المحلّات كأنها أتون متقد يرتفع لهيبهُ فوق اعلى المدينة ويحجب بدخانه شعاع الشمس (٤٥) في وسط النهار. فيا لطيف من ذا الذي يطّلع على هذه الحال ولا يخاف منك اللهمّ!

الحادث الحادي والعشرون

في اهانة ديانة النصارى

انهُ لعمري ما كان صدر من مسيحيين دمشق الفقراء ما نحو المسلمين ولا جملة استحقّوا هذه المقاصّة الشديدة. ثم لم يكن حدث فيما بينهم قبلًا وقائع واهراق دم. فلماذا اذًا هذا العمل؟ قيل انهُ كان صادراً عن اختلاف الديانة فقط لكون المسلمين في زمان الفتنة كانوا بوجه العموم يغصبون المسيحيين رجالًا ونساء ليُسلموا لكي يبقوهم في قيد الحياة. والذين اسلموا وقتئذٍ على هذا النسق سواء كانوا رجالًا ام نساء قد بقوا احياء بين المسلمين. ومنهم من اكلوا فيهم سنّة المذهب الاسلامي وعملوا لهم فرحاً كبيراً وداروا بهم شوارع المدينة مركّبينهم على الخيل وكانوا

(١) هو الشهيد الذي أعلن بتطويبه حديثاً مع اخويه عبد المعطي ورفائيل والرهبان الفرنسيسيين الثمانية

يضربون قدامهم بالدفوف

ثمّ ان المسلمين ليُعطوا برهاناً ان الذي فعلوهُ بالنصارى كان بغضاً واحتقاراً لديانة المسيحيين لم يضرّوا باليهود ولم يوصلوا لهم اذيّة البتّة مع انهم جسورون وذات لسان طويل خلافاً ليهود غير مدن. وليس لم يضرّوا بهم فقط بل وقد اعطوهم اتباعاً ليضرّوا هم ايضاً بالنصارى بما يستطيعون. فكان اليهود يتبعون المسلمين في كل مكان يذهبون اليه لضرر النصارى وكانوا يقدّمون لهم الماء بكثرة على مرور الاوقات ممزوجاً بالسكر وماء الليمون وماء الورد الخ (٤٦)

ثم ان المسلمين كانوا يأخذون الصور والصلبان والقربان ويلاشونهم باهانات لا توصف. وقد اخذوا جرس احدى الكنائس واجتمعوا في شارع في المدينة وملأُوا الجرس من زبل البشر وجاؤوا بالصليب وصاروا يغمسونهُ فيه ويلفظون بما لا يليق وبعد ان كسروا الصليب والجرس جعلوهما في مكان الفروغ اي الكنيف

في تلك الايام المذكورة جاء تحرير من حمص وحماة ان المسلمين تحرّكوا ليفتكوا بالنصارى ولكن الوالي قد منع ذلك اذ استدعى الفريقين وسأل عن سبب التذمر وعلامات حركة الفتن. حينئذٍ اجاب المسلمون انّ النصارى فاتوا الحدود وصاروا يضربون الجرس فوق رؤوسنا. فالوالي امر وفتش النصارى ان يأتوا بالاجراس ويكسروهم امامهُ اختيارياً بايديهم. ولما انكروا امرهُ بسرعة وسرور اصطلح الفريقان ومضوا فرحين وخمدت الفتنة. وقيل ان ... حمص وحماة كان سببها تحرير وارد لهم من مسلمين الشام وهنا نضع صورته ... :

صورة كتاب وارد من ... حمص وحماة

انّ النصارى من بداية حكم السلطان عبد المجيد يمكثون زيادة الشريعة المحمّديّة ويتخطّون الحدود ويتجاوزون الشريعة والرسومات المرسومة عليهم من اقدم الزمان من حضرة الامام عمر بن الخطّاب. وبدأوا في هذا الوقت يعيرون الاسلام ويجرّونهم في دياتهم وما شابه ذلك. والحكم صار يصدر في الرفيع والوضيع على الاسلام وحلّ ... ان يفتروا (٤٧) على الاسلام وهم لا يعلمون بان الاسلام ... يجب على ... يقطع جرسهم (كذا) وذلك بوجوه شرعية: (الوجه الاول) قد حلّ دم النصارى ونهب ... وحرق كنائسهم وخراب بيوتهم بسبب دفع الجزية. (الوجه الثاني) جنة من الفتاوى (الفتاوي) الهندية وغيرها ... بالامر القاطع بانه لا

يجب على الاسلام تقوية النصارى ولا القيام لهم ولا المدية ولا عزّ للنصارى اتباعاً لما قالهُ سيد الاوّلين والآخرين في النصارى واليهود. تلمن الله من ابتسهم ثوب عزّ. (الوجه الثالث) لا يجوز شهادة النصارى بل تجوز شهادة الصبيّة على النصارى تطبيقاً لقول الشرع. ونذكركم بقوله تعالى «لا تحبّوا منه الكفر واتبعا جزم البغضة والعداوة الى يوم القيامة». فيا معشر الاسلام فيقوا من نومكم واعلموا الآن لتبيد جنس عبّاد الصليب من هذه البلاد المقدّسة التي تحبوها ولا يعود يذكر اسم النصارى في هذه البلاد. وعلى ما تحقّقنا من الأمورين العظام بان الدول لا يمكنها الآن فتح الحروب لكونها عدمت في حروب القريم هذا وقت اغتنام الفرصة ووقت غلبة الروم. الآن يوم خرابهم قد دنا لان العالم كل ما لنا تتزايد بالمظاهرة وان تركناهم سنتين يقووا علينا ويأخذوا اماكننا ويبدوا جنسنا. فان جرى ذلك ابتدينا الآن بالمظاهرة والتداخل مع المأمورين. واطّلعنا على الحركات الواقعة بالاستانة (٤٨) في العام الاوّل وهي هذه: (اوّلاً) القلب رجال الدولة عقدوا رأي سرّي بان يبيدوا النصارى مع السلطان وكل من يلوذ به على وجه الارض لسبب ان السلطان زائغ عن الشريعة الاسلامية بضع الصور في عله وصورته كذلك معلّقة فوق رأسه. (ثانياً) بضع هدية الاوروباويين في منقع المرسوم بها علامة النصارى واشياء مثل هذه تمكّن مذهب الاسلام. وان تركناه رأيه نظراً الى الملحوظات الظاهرة منهُ يبيد مذهب الاسلام فعندما حصلت مذاكرة سرّية من مدّة سنتين بين وزراء وعلماء ووجوه الرعايا فبنوا رأيهم على ما تقدّم اتفاق القصد بإعدام السلطان ومن يلوذ به ووضع ابنه في محله كون رأيهُ مثل رأينا ويبيد دين الاسلام كما كان سابق ويضعف النصارى ويستبيدهم كما كان سابق ويكسر شوكتهم وان قدر يبيدهم كلياً من هذه البلاد. لانهُ اذا حصل الشقاق عليهم يصيروا لنا عثرة بقوة الافرنج وهم للآن حال يحرّكوا الاوروباويين ويعملوا فساد وحركات ضد الاسلام لاسيما الجيل يوجد فيه مائتين الف متجرّدين من قدم الزمان ومشهورين في كل حركة ولا يقدر احد يدخل الى سوريا الا بمساعدتهم. والآن صايرة رابطة كلية بينهم وبين الاوروباويين بادخالهم الى هذه البلاد. ونحن لما تحقّقنا ذلك من كل الجهات تحابرنا مع الوزراء والعلماء فاذاً...(١

حُكي عن ولد نصراني يافع السنّ ابن ثلث عشرة سنة انهُ حين مسكوهُ ليذبحوهُ بدأ يبكي ويصيح بصوت حزين (٤٩) ومن ثمّ تأمّلوا القتله وقالوا له: أسلم لتخلص. فالولد غيّر كلامهُ وقتئذٍ وبدأ يصيح بصوت عالٍ: "انا مسيحي كاثوليكي انا مسيحي كاثوليكي". وفي وقته رجل مسلم كامل السنّ مدّ يده واخذهُ ورماهُ خارج ذلك الجمهور. وفي الحال طلق ذلك الولد يركض كانهُ طائر فرموا به الرصاص بكثرة ولم يصبهُ شيء البتّة ولم يقدروا يجدوا له اثراً كلياً(٢

---

١) تركنا هذه الرسالة بنصها مع ما فيها من العواطف بحق النصارى وبحق السلطان عبد المجيد

٢) هذا الولد كان نسمة بن عبد المطي اخي ترنسيس مسابكي الشهيد

الحادث الثاني والعشرون

في نجاة بقية مسيحيين دمشق

انّ اخبار المسيحيين الذين نجوا من فتكات مسلمين دمشق لا يمكن ان توصف بكتابة لكونها متنوعة وعديدة لكثرتها فاكتفينا بما سبق . ولكن لكي لا نطيل الشرح في هذا المختصر نقول عن كيفيّة نجاتهم بوجه العموم

انّ الله الرحمان الرحيم لم يسمح بالقضاء الّا لتأديب الخطأة ولرَدْع العصاة . فبلطفهِ تعالى وجد وقتئذٍ في مدينة الشام رجل شريف النفس عبد القادر بيك المغربي الذي جاء لهذه المدينة بعد ان اخذت دولة فرنسة بلاد جزائر الغرب بحرب ينيف عن خمس عشرة سنة . ولهُ في هذه المدينة معاش يُعطى لهُ كل سنة من خزانة الدولة المذكورة . فهذا حينما فهم غرض المسلمين وانحراف الوالي اخذ يستعدّ لمحافظة المسيحيين وكان مترقباً لذلك لا ينام الليل محرّضاً جماعاته على المحافظة . ولمّا حدثت الفتنة بدأ يطوف المدينة في محلّات النصارى وكان معهُ جمهور (٥٠) كبير من عسكر المغاربة متدرعين بالاسلحة

فاولًا اخذ ليته قنصل فرنسا والقناصل الآخرين . عدا قنصل دولة الانكليز لكون المذكور لم يحتج لمحافظة احد لان الشرّ كان غير متّجه نحوه . ثمّ خلّص البيك كل الذين وصلوا لبيتهِ من تبعة الافرنج رجال ونساء واولاد . وكذلك اخذ رهبان العازاريين واولاد مدرستهم . ولكن يا حيف بعد نجاتهم من الشام ووصولهم لبيروت قد توفي منهم الرئيس العام البادري فرنسيس والبادري بطرس . واما الرهبان الفرنسيسكانيون فلم يقبلوا المجيء الى دار البيك المذكور لانهم خافوا مخافتهُ . وهكذا خلّص كل من وجدهُ من المسيحيين

ولمّا رأى ان بيتهُ غير كافٍ لاتساع النصارى وانّ عسكرهُ قليل لمحافظتهم لذلك طلب من والي الشام ان يأمر بمكان لمحافظة المسيحيين فامر بان تعطى لهم قشلة العسكر . ولكن عبد القادر بيك لم يقبل بها واعتذر انها غير حصينة وتكون سبباً كافياً لقتل المسيحيين كلهم . ولهذا اخذ منهُ امرًا لان تعطى لهُ قلعة المدينة .

وبعد بدأ كل مدة كان يخلي بيته من النصارى يرسلهم الى القلعة مخفورين من جماعة المغاربة الذين كانوا يرافقونهم الى هناك جاعليهم في الوسط وهم حولهم مجردون الاسلحة. ثم كان يطلب من والي المدينة حمايتهم وكان يحرض العسكر المحافظين القلعة على محافظة النصارى. وهذا العمل صنعه في مدة الاحد عشر يوماً الآنف ذكرها. وبذلك خلص جزءًا كبيراً من المسيحيين (١ ٥)

ثم اناس كثيرون من النصارى الذين هربوا الى الميدان نجوا من الموت لان سليم آغا كبير الميدان لم يأذن بضرر النصارى الساكنين هناك. وفي ذلك الوقت تهدد جماعة المسلمين اهل الميدان في انه اذا احد منهم ابتدأ بالشر نحو النصارى حينئذ يحرق الميدان كله حتى الى باب توما. وقد طلب سلاحاً من احمد باشا لاجل محافظة النصارى معتذراً بقدوم العرب الى الميدان. وان يكن لم يدفع له ما كان طلبه فمع ذلك قد حفظ مسيحيي الميدان وكل الذين هربوا اليه (١

ثم غير اناس من النصارى خلصوا بواسطة محلات بعض المسلمين المتدينين الذين اما كانوا يحفظونهم عندهم ضمن بيوتهم واما كانوا يرافقونهم في جماهير النساء ولابس ثيابهن. ومنهم من خلص ايضاً بلبس زي الاسلام ويلبس ثياب العسكر والعرب. والجميع التجأوا الى القلعة وصار عددهم اثني عشر الف نفس وبقوا هناك نحو ثلاثين يوماً وكانوا في ضيق شديد لان في الابتداء ما كان لهم مأكل ولا مشرب. وكانوا في النهار يحترقون من حر الشمس وكان غبار الارض يملي افواههم وعيونهم. وفي الليل كانوا يرقدون على الحضيض فوق التراب وبدون اغطية. وفي تلك الايام ما كان يعرف الاخ ابن امه ... بنته. والجميع كانوا في خوف عظيم لئلا يأتي المسلمون ويذبحوهم كلهم ... شاع خبر انه ذبحوا النصارى الملتجئين لسرايات الحكومة في (حاصبيا وراشيا) ودير القمر هكذا يذبحون هنا في القلعة كل النصارى لانهم لهذا السبب اعطوا رخصة لاجتماعهم هناك

(١) حاشية المؤلف: اعلم ان الميدان هو جزء كبير من مدينة الشام وموقعه خارج ابوابها وفيها كان للنصارى اكثر من الف بيت وعندهم كنيستان

(٥٢) الحارث الثالث والعشرون

في مجيء العساكر السلطانية

حقًا ان مصيبة مسيحيين دمشق كانت كبيرة ولكن ملافاتها صارت سريعة لانهُ لما وصلت الى الاستانة اخبار جبل لبنان وعلم السلطان عبد المجيد بما انزلوه الدروز بالنصارى من الشقاء والظلم حينئذٍ امر ان العساكر الشاهانية تتوجه الى سوريا ثمّ فوض امرًا فوق العادة وهو تدبير هذه البلاد لحضرة فؤاد باشا وارسلهُ ليهدّي العصاة ويغيث المظلومين(١ فقبل ان يصل الباشا المذكور وصل ليروت اربعة الاف عسكري نظامي مع خالد باشا وكان مجيئهم من كريد بعد ان هذّبوا اهاليها (٢. ولما وصل العسكر المذكور وكان قصده ان يتوجه على الدروز غيّر قصده وتوجّه الى الشام لانهُ وقتئذٍ كان وصل خبر الفتنة لبيروت . ثمّ بعد ثلاثة أيام جاء ايضاً اربعة آلاف اخرون من العسكر النظامي مع حليم باشا وكذلك توجّهوا الى الشام

ثمّ بعد كم يوم انعزل احمد باشا والي الشام وجاء عوضه احمد معمر باشا ثم عند فؤاد باشا ناظر الخارجية في ١٧ تموز . وفي ٢٢ الشهر المذكور وصل لبيروت احمد باشا المعزول من الشام وعند مواجهته (٥٣) عنّد فؤاد باشا وبخّهُ المذكور توبيخاً شديدًا لعدم امنيتهِ في حق وظيفتهِ ثمّ اخذ منهُ السيف ونيشان الشرف وارسلهُ مهانًا الى الاستانة . وكذلك صنع مع خرشد باشا والي صيداء وبيروت بعد ان اخذ سيفهُ ونيشانهُ امرهُ ان في ساعة واحدة يخرج من بيروت وهو ونساؤه وكل ما لهُ وهذا الامر سبّب لهُ اهانة كليّة وكان سفرهُ من بيروت الى الاستانة في ٢٤ الجاري . وبعد ذلك ترك فؤاد باشا تدبير الجبل وتوجّه الى الشام وكان وصوله لهناك في ٢٩ تموز

١) خدع المؤلف بهذه الظواهر ولا يشك اليوم احد في انّ مذابح الشام كانت بتصديق السلطان ذاته . اما فؤاد باشا فانّهُ بسياستهِ وحيلهِ ردّ عن الدولة ما استحقتهُ من التأديبات

٢) حاشية للمؤلف خبرونا انّ في كريد صارت فتنة بين النصارى والمسلمين وقُتل بها اناس كثيرون ولمّا جاءت العساكر السلطانية لتهذيبهم ضرب المسلمون العسكر وما ارادوا دخولهم للمدينة ولكن كانت مقاومتهم مدة اذ انّ العسكر غلبهم ودخل المدينة وقبض على اصحاب الفتنة واخذ سلاحهم ثم اخذ منهم رجال الشام

الفصل الرابع والعشرون

في رحيل المسيحيين من الشام

انه لما وصل فؤاد باشا الى الشام ودخل القلعة ونظر حال المسيحيين المرثي لها بدأ يبكي بدموع امام الجميع واخذ يعزيهم بكلام عذب لطيف ويعدهم برد المال كله والابنية الكاملة وحسن الحال. وامر ان يعطى معاش من خزانة الميري لكل واحد عشرون غرش في كل اثني عشر يوم من ابن يوم الى ما فوق اثنى وذكر. ولما نظر ان حالة النصارى شقية جداً وان بقوا في القلعة يخشى عليهم من الموت جميعاً من قبل كثرة الازدحام والاوخام وشدة الحر وان اخرجهم الى المدينة فليس لهم امنية من قبل المسلمين وليس لهم اماكن السكنى ولذلك اعطاهم اذناً ليسافروا الى بيروت وقدم لهم دواب مأجورة من خزانة الميري وارسل معهم محافظين في الطريق. وهكذا رحلوا في قافلتين كبيرتين ولم يبقَ منهم سوى (٥٤) القليلين جداً قيل نحو ثمانين بيت فقط

فاي عين لا تسكب الدموع واي قلب لا يصدر حسرات الاسف عند مشاهدة هذا الرحيل المملو من الاكدار ترى كم احتملوا من الاتعاب في تلك الطريق اولئك الشيوخ العاجزين عن الركب والمشي واولئك النساء والبنات اللواتي لم يكن ركبن على دابة واولئك المرضى المشتركين بالاوجاع. ترى كم هو شديد ذلك الجوع والعطش والحر الذي احتملوه في مسافة تلك الطريق التي قطعوها في خمسة ايام مع انها على الغالب ثلثة ايام

حكي عن امرأة كانت متأخرة عن القافلة وكان معها ثلثة اولاد انها نظرت امرأة ملقاة على الارض بقربها ولدان الواحد كان يرضع ثدياها والثاني كان يبكي ويقول: يا أماه قومي لنروح فالامرأة المجتازة دنت من الملقاة فرأتها مائتة حينئذٍ بكيت كثيراً واخذت ذينك الولدين وتبعت القافلة

واذ وصلوا الدمشقيون الى بيروت خرج المسيحيون من كل الطوائف لملاقاتهم واخذوا منهم كثيرين الى بيوتهم والبقية تفرقوا الى الكتانى والخانات وكان يعطى

لهم من خزانة الميري دراهم المعاش المذكور وايضاً كان يعطي لهم احسانات كثيرة من اهل البلدة. وقد وصل ايضاً لبيروت احسانات وافرة من دولة فرنسا الفخيمة ومن غير دول. فكانوا يوزعون على اولئك الفقرا. بايدي الآبا. اليسوعيين والبتولات المازاريين. وقد احتملوا في بيروت عذابات كثيرة من قبل الحرّ لانهُ في بيروت يصل الحرّ الى ثلثين درجة ومن العطش لقلة الما. (٥٥) هناك. وقد مات هناك كثيرون منهم اطفال وكاملو السنّ وقيل انهُ بلغ عدد المتوفين والمائتين خمسة الاف مع الغربا. ولكثرة الازدحام في بيروت ذهب منهم عدد وافر الى الجبل اي الى كسروان وصار لهم قبول من اهالي تلك البلاد ومن رؤسا. الاديرة

اخبرونا عن بطريرك الارمن الكاثوليكيين انهُ ارسل احسانات لجماعته من ديره وجلب لهم من الغير ايضاً وكان يقبل في ديره كل من جا. اليه. والآبا. اليسوعيون جمعوا الاولاد الايتام واقاموا لهم مكاناً في جانب مدرسة غزير وكانوا يقبلونهم ويعلمونهم العلوم كبقية الاولاد. ومثل ذلك صنع الآبا. المازاريون

الحادث الخامس والعشرون

في اعمال محمَّد فؤاد باشا

انهُ بعد رحيل النصارى من الشام اخذ فؤاد باشا يفحص عن اصل الوقيعة واصحاب الفتنة ومن ثمَّ قبض على مصطفى بيك حواصلي وعلى ستين واحداً من المسلمين الاشقيا. والجميع شنقهم في ليلة واحدة وبقوا معلقين في شوارع المدينة مدة يومين. ومسك عشرة رجال من اكابر اعيان بلدة الشام وارسلهم مقيَّدين الى بيروت ومن هناك نُفوا الى قبرس

وهذه اسماؤهم: ١ً الشيخ عبدالله الحلبي إمام مشايخ دمشق. هذا نُفي مؤبداً هو وكامل عيالهِ واقربائهِ المخصوصين. ولم يبقَ احد من بيتهِ كلياً. ٢ً عبدالله بيك ابن نصيف باشا. ٣ً احمد بيك ابن الحسيني. ٤ً محمد بيك ابن العظم. هؤلاء الثلثة نُفوا خمس عشر سنة. ٥ً طاهر افندي (٥٦) المفتي (المفتي؟) . ٦ً عمر افندي القاضي. هاذان نُفيا لعشر سنوات. ٧ً-٨ً عبدالله بيك ابن العظم وابنهُ علي بيك. ٩ً احمد افندي النقيب. ١٠ً عبد الحق افندي ابن الغريق. هؤلاء الاربعة نُفوا ثلث سنين. واموال الجميع صارت تحت الترسيم

ثم مسك مقدار الف رجل من المسلمين وارسلهم مقيَّدين الى الاستانة منهم

لاجل النظام ومنهم للومان. ومسك كثيرين غير هؤلاء. والقاهم في السجن لتحصيل مال النصارى. وبدأ بجمع مسلوبات المسيحيين. وقيل انهُ امر بأن كل رجل مسلم يدفع عشرين الف غرش لخزانة الميري. واخذ ايضاً من اليهود مبلغاً كبيراً من الدراهم ليصرفه على النصارى عوض الضرر الذي سببوهُ لهم. ثمَّ اخذ بيوتاً من المسلمين كثيرة العدد لسكنى النصارى وامرهم بعمار بيوت كل المسيحيين المحروقة وكنائسهم. ووجَّه كل اهتمامهِ في تحصيل المسلوبات والنساء والبتولات المخطوفات. وفي هذا الامر بذلوا مثله الاعتناء معمر باشا والي الشام وخالد باشا وحليم باشا. ومن ثمَّ كانت العساكر تطوف المدينة والقرى منفتشين عن مال النصارى وبناتهم ونسائهم المخطوفين. وكانت تُقبل في الديوان شهادة النصارى على المسلمين لاسيا شهادة الاكليروس. وقد جعل محافظين على محلات النصارى المحروقة لئلا يؤخذ شيء بعد من الطمورات تحت الردم. وكذلك امر كل النصارى رجالاً ونساء الذين اسلموا خوفاً من الموت ان يرجعوا الى ديانتهم المسيحيَّة ولهذا رجعوا جميعاً ولم يبقَ سوى اثنين اوثلاثة (٥٧)

حكي عن رجل نصراني من الذين اسلموا في ذلك الوقت انهُ ما قبل الرجوع الى ديانة المسيحيين. فهذا استدعاهُ فؤاد باشا وسألهُ عن سبب عدم رجوعهِ الى ديانتهِ المسيحية. اجابهُ الرجل المذكور انهُ حباً بالديانة المحمَّديَّة لا يريد الرجوع. حينئذٍ امرهُ فؤاد باشا ان يكتب صكاً بيدهِ انهُ اختيارياً وبمطلق ارادتهِ صار مسلماً. ولما اكمل المذكور امر المشير قال لهُ: لكونك مسلماً حقيقياً فيجب عليك اذاً ان تساوي اخوتك المسلمين وتدفع الى خزانة الميري عشرين الف غرش. ولما اعتذر عن الدفع القاهُ في السجن ليدفع ما فُرض عليهِ. وغير هذه الاعمال صنع فؤاد باشا عدلنا عن ذكرها لاجل الاختصار

الحادث السادس والعشرون

في قتل احمد باشا والي الشام وقوَّاد العساكر الخائنين

انهُ بعد وصول احمد باشا والي الشام وخرشد باشا والي بيروت الى الاستانة خرج امر في ان يرجعا الى بيروت والشام ليصير عليهما التحقيق. ولهذا بعد ان وصل احمد باشا الى الشام تحقَّق عليهِ الخيانة والقصور في منع الفتنة ومن ثمَّ جاء امر من الباب

العالي بقتله وكل من كان له شريكاً. وفي ذلك الوقت تقدّم شكاوات على عسكر النظام في انهُ قتلوا من النصارى ونهبوا مع المسلمين ولذلك عاد عليهم تحقيق فوجدوهم كثيرين ولكنْ أمرَ القتل خرج على مائة وخمسين واحداً من الضابطة ولهذا اخذوهم الى الميدان وقتلوهم برمي الرصاص

وفي اليوم الثاني من ايلول (٥٨) قتلوا احمد باشا والي الشام ومعهُ قتلوا ايضاً علي بيك وعثمان بيك وعبد السليم بيك. وفي اليوم التالي رجع فؤاد باشا الى بيروت

وهنــا شاع خبر في ان احمد باشا المذكور لم يُقتل بل لم يزل حيا مختفياً. لكنْ اناساً من المسيحيين شهدوا انهُ قُتل حقًّا وقالوا انهُ لَّما دخل للقشلة ورأى العسكر باستعداد فسأل من سبب ذلك قالوا له: امر السلطان بذلك. حينئذٍ فهم مقصودهم وطلب ماء وبعد ان اغتسل وصلى وقف في وسط العسكر وطلب السماح وقال: الله يجازي الذي كان السبب في هذا. ثمَّ ضربوهُ بالرصاص فوقع مائتاً وشالوهُ حالًا ودفنوهُ

ولَّما وصل الى بيروت الخبر عن قتل احمد باشا حينئذٍ سفير دولــة فرنسا عاتب فؤاد باشا في انهُ لماذا لم يبقهِ زمناً ما ليبروا منهُ غير تحقيقات

الحادث السابع والعشرون

في مجيءْ العساكر الفرنساوية لبيروت

انهُ من قبل اضطرابَ جبل لبنان وعــلامات الفتن صارت فابورات الافرنج تتكاثر بالمجيءْ لبيروت. ولَّما خربت حاصبياً وراشيــا والقرى التي حول دير القمر ووصلت اخبارهم الى بلاد اوربا اخذت ملوك تلك البلاد تتشكر فيما يصلح لتدبير بلاد سوريا وصيانة المسيحيين هناك. واذ كانوا على هذه الحال وصلت حينئذٍ اخبار خراب دير القمر وزحلة والشام وما صدر من المسلمين والدروز نحو النصارى وانهم قاصدون (٥٩) على ملاشاة المسيحيين من بلاد سوريا. فمن هذا القبيل صار هيجان عظيم في اوربا وبالاكثر في بلاد فرنسا. وتحرّك الجميع لمساعــدة وخلاص مسيحيين سوريا. ولهذا صارت تجيءْ فابورات من قبل كل الدول وترْبط في مينــا قبرس وبيروت. ولقد اجتمع في ميناء بيروت مقدار عشرين فابور وكان محمولهم مدافع وعساكر كثيرة وكانوا يتهدّدون اهالي بيروت بالضرب وخراب المدينة ان كانوا يقومون

ضد النصارى. ولكن لما صار الاتفاق بين الدول المتحاربة والدولة العثمانية في انهٔ دولة فرنسا فقط تخرج عساكرها الى برّ سوريا وتكون مساعدة لنجاة مسيحيين تلك البلاد وتناظر كيفيّة العمل المأمول لراحة وامنيّة البلاد المذكورة. لذلك تعيَّن عسكر خصوصي وجاء من فرنسا الى سوريا. وقد كان وصوله لبيروت في ١١ آب. وفي ٢٥ منهٔ وصل جنرال بوفور دي قربوستام (كذا) (١ مفوَّض من قبل الدولة المذكورة في كلّ ما يلائم لاصلاح سوريا. وبهذا الشهر الذي هو غاية السنة الستين وصل مقدار خمسة عشر الف. وقد جلبوا معهم ذخائر الاكل والشرب بكثرة وافرة. ولمّا لم يقبلوا القشلة المتقدِّمة لسكناهم اتخذوا غير اماكن واستأجروا بيوتاً من النصارى والمسلمين بأجرة معلومة وفتحوا بيارة (آبارًا) جديدة وعمروا افراناً خصوصيّةً لهم وشروا (؟) احد ابواب المدينة وفتحوا طريقاً للعرابانات (٦٠) من البحر الى الخارج والآن هم مجدون ليوصلوهُ حتى مدينة الشام وقد دخلوا فيهِ مسافة كبيرة (٢

ثمَّ فحصوا السواكل البحر في سلسلة جبل لبنان وعرفوها اكثر من اهلها. وطلع منهم اناس معتبرون الى الجبل وفحصوا اماكن الفتن وكتبوا القرى المحروقة وتداخلوا في امور الاحكام لاصلاح وتدبير البلاد المذكورة. ولهذا حين جاء امر من السلطان عبد المجيد في عمار كل القرى المحروقة وان يعطى الآن لاهل الجبل من جانب مسلوباتهم ثلث المال. اخذوا هم يعتنون بعمار هذه الاماكن وعيّنوا منهم اناساً كثيرين من رؤساء. وعساكر لنظارة ونجاح هذا العمار وبالاخصّ دير القمر وزحلة. وبدأوا يعمرون ليس فقط القرى المحروقة بل غير اماكنَ قديمة موشكة على الخراب ككفر الياس وغيرها. واخذوا سراية الامير بشير الشهابي وقد قدمتها لهم هديّة امرأتهُ. وهم الآن مجدُّون في كمال هذا العمار ولذلك يسعون في نقل الاخشاب وغيره مما يلزم ويمسكون من الدروز ليعملوا مع الفعلة. والعسكر قد توزَّع في بيروت والجبل وكثيرون شتُّوا هذه السنة في قبرس

انْ فضل دولة فرنسة الفخمة ومعروفها مع المسيحيين في بلاد سوريا لكبير

١) اسمهٔ Beaufort d'Hautpoul

٢) يظهر من هذه التفاصيل وما بعدها ان الكاتب يصف ما يانيهٔ في يومهِ وهو يتابع اخبارهُ الى السنة ١٨٦٣

جدًّا لكونها هي التي الزمت الغير لقبول خروج عساكرها لبرّ سوريا وقدّمت همّتها مجّانًا لهذا العمل . ونقدر ان نقول ان فضلها هذا ومعروفها لأعظم من شرّ الدروز ومسلمين الشام (٦١) لانهُ لاجل وجودها في هذه البلاد ومساعدتها لعساكر الدولة العثمانية قد حجبت اهراق دم بقيّة المسيحيين لان خوفها قد دخل في قلوب الجميع . ثمّ منها وبسببها قد تقدَّم مصروف لاولئك المسيحيين اصحاب المصيبة ينيف عن ثلثين مليون غرش لغاية هذه السنة ونرجو بالله انهُ بواسطة سعيها سيكون نجاح لاهالي هذه البلاد

الفارث الثامن والعشرون

في الاعلانات التي اشتهرت في مدينة بيروت وخروج العساكر الفرنساوية من سوريا

اشتهر اعلان في بيروت بعد مجيء عشد فؤاد باشا الى سوريا وأعلن فيهِ عن مجيء المذكور واتساع الامر المفوَّض اليهِ من الدولة العثمانيَّة العليَّة وانهُ يقدر يحكم فوق العادة نظرًا الى ترتيبات نظام الكويه . وقداشتهر ايضاً اعلان من الباشا المذكور فيهِ كان يعلن انَّ الدروز مغضوبون من الدولة العثمانيَّة واموالهم وكل ارزاقهم صارت للميري وارتفع منهم الشرف والولاية وكل سلطة

وايضاً اشتهر اعلان آخر من الباشا المذكور فيهِ كان يحرّض الشوام المسيحيين ليرجعوا الى مدينتهم مظهرًا لهم علامات الامنية وارتفاع الخوف . واذ لم يقبل المذكورون بالرجوع الى وطنهم ظهر اعلان من فؤاد باشا فيهِ كان يعلن انهُ قَبِل اعتذار الدمشقيين في عدم رجوعهم الى مدينتهم

ثمّ صدرت اعلانات أُخر من عشد فؤاد باشا تعلن من راحة بلاد سوريا وامنيّتها الكائنة والمزمعة ان تكون . ثمّ ايضاً طُبعت نشرات واشتهرت في مدينة بيروت من واحد محبّ الوطن (٦٢) فيما كان يقدّم نصائح كثيرة لاهل سوريا في ان كلًّا يرجع الى مكانهِ ويعتمد الامنية وينسى الاسيَّة(الاذيَّة) . ثمّ صدرت اعلانات اخرى في صالح اموال دمشق الشام اوّلًا اشتهر اعلان في كيفيَّة ردّ مسلوبات المسيحيين وتوزيع العوض بدل اموالهم . ولمَّا لم يقبلوا هذا الاعلان وكيفيَّة التوزيعات صدر اعلان ثاني

فيه يعلن فؤاد باشا ان الذي لم يقبل ما تخصص له من الدولة العلية على سبيل العطية السنية فليكتب في ورقة بامضائه عدم القبول ويودعها الى باب الحكومة. والنشر اعلان آخر لدن الأمورية المخصوصة فيه يعلن لاصحاب السلوبات الفقراء الذين يبلغ مالهم الى خمسة الاف غرش في انه تعطى لهم دفعة واحدة

والشهر ايضاً نحو اعلان في كيفية نظام مجلس تحقيق السلوبات. وهذا المجلس صار في الشام مؤلفاً من اثنين وعشرين عضواً من اعالي الشام ذوي الفطنة. احد عشر منهم من قبل الحكومة اسلام ونصارى واحد عشر من قبل المسيحيين من كل الطوائف. وقد أقاموا لهم رئيساً خصوصياً مفوضاً من الحكومة التفريض التام. وهؤلاء اجتمعوا فصاروا يفحصون ويحققون على مسلوبات ومحروقات كل واحد من المسيحيين بمفرده

وصدرت اعلانات في اسعار الاخشاب التي تباع الى المسيحيين في دمشق لاجل عمار اماكنهم المهدومة بالحريق. وصدر معاً اعلان في تعريف محلات الشام وكيفية بيع الاخشاب(٦٣). وصدرت اعلانات أخر كثيرة في ترتيب وصالح احوال سوريا. واخيراً انتشر اعلان من لدن مأمورية المخصوصة بقطع الاعانة التي كانوا المسيحيون يأخذونها من الحكومة لاجل معاشهم. وهذا الاعلان كان يستثني ارامل الرجال المقتولين في حارات الشام وايتامهم

واما العساكر الفرنساوية فحين صدرت الراحة في بلاد سوريا خرجوا منها بكل سلام وهدوء واكرام وتوديعات احتفالية حيث ان عينهم الى البلاد المذكورة كان محدوداً الى زمن ما. ولكن قبل ان تخرج العساكر الفرنساوية من بلاد سوريا قد وصل الى مينا بيروت مراكب كبار حربية من فرنسا كان محمولها مدافع وعساكر كثيرة. وقد عسكروا حول بيروت المحافظة زماناً طويلاً. وكذلك وصل الى المينا المذكورة مراكب حربية من الدول الاخرى الانكليز والمسكوب والنمسا وبقوا رابطين الى ان صار الهدو التام

الحادث التاسع والعشرون

في تأديب الدروز واعتناء الدولة العثمانية في الاهالي المتصابين المسيحيين

ان الدروز بعد مجيء فؤاد باشا من الشام الى بيروت فرّوا هاربين من جبل لبنان

الى حوران وكان عدد الهاربين مقدار خمسة آلاف . فالباشا المذكور وجّه باثرهم عساكر جهادية فصادفوا البعض منهم عند قرية عيناب فضربوهم . ثم مضوا وحاصروا حوران مدة طويلة واخذوا البعض منهم بمسك اليد وارسلوهم ليروت . ثم الباشا المذكور بفطنته مسك امراء ومشايخ من الدروز وحبسهم في بيروت في قشلة العساكر . وحُبس فيها بين هؤلاء الامير ارسلان (٦٤) فيذا من شدة غمه وحزنه مات وهو في السجن

ثم بعد هؤلاء مسك فؤاد باشا خرشد باشا والي بيروت في زمن الفتن والقاءه في السجن مع البعض من البكاوات . وبعد ذلك بزمن طويل صدر الحكم على هؤلاء اعني على امراء الدروز وخرشد باشا ان يُنفَوا من سوريا منهم نفياً مؤبداً ومنهم موقتاً . وهذا الحكم صدر بموجب تحقيق مجلس كوميسيون اصلاح سوريا المؤلف من اعضاء مختلفة اعني بهم سفراء الدول كلها لان رأي هذا المجلس لم يحكم بالقتل على هؤلاء .

واما الاعتناء والاهتمام الذي بذلته الدولة العثمانية في خير ونجاح رعاياها المنصابين في حادثة دمشق ودير القمر وحاصبيا وراشيا وغيرهم من المسيحيين الذين سُلبت اموالهم وقُتلت رجالهم وحُرقت اماكنهم لعظيم جداً . لانه قبل ان تردّ الدولة عوض المسلوبات للمسيحيين المذكورين قد عيّنت مصروفاً يومياً يؤخذ من صندوق الخزينة لكل واحد بمفرده رجالاً ونساء من ابن يوم الى اخره . وهذا الصرف بقي يُعطى لهم الى نهاية شهر كانون الثاني شرقي سنة ١٨٦٢ عدا الارامل والايتام لان هؤلاء خدمتهم بصرف خصوصي لاجل احتياجهم . وقد عيّنت ايضاً الدولة بيوتاً لاجل سكنى اولئك المسيحيين المنصابين باجرة معلومة تُدفع من جانب الميري . وكذلك عيّنت اطباء خصوصيين لاجل المرضى من المذكورين بأجرة تؤخذ من الخزينة . وايضاً كلّف الاجزخانات والعقاقير حسبت على الميري

وحيث في بيروت (٦٥) الماء قليل لذلك عيّنت الدولة العليّة العثمانية اناساً ينقلون الماء لاولئك المصابين المحتاجين الى الماء بدون ان يدفعوا ادنى اجرة بل كان السقاؤون يأخذون ثمن الماء من الميري . وعدا هذا جميعه قد وزّعت الدولة فرشاً وحُللاً وحصراً وغير اشياء كثيرة لسدّ احتياج المسيحيين المصابين . وليس هذا فقط بل والذين كانوا يريدون الرجوع الى الشام كانت الحكومة تدفع عنهم اجرة الدواب

في الطريق. وبعد هذا كله قد اعطت الدولة العثمانية عوض مسلوبات المسيحيين المنصابين لكل واحد غروشاً بمقدار ماثبت له من المال في مجلس التحقيق في مدينة الشام كما مرَّ ذكرهُ في الحادث السابق . وقد توالى ما صُرف لاولئك المسيحيين من جانب خزينة الدولة المذكورة فوق المائتين مليون غروشاً نظرًا لبدل المسلوبات والمحروقات واعانات المعاش واجور البيوت وغير ذلك . ويؤمل بحسن عنايتها ان تحصل سوريا باحسن حال من ما قبل

الحادث الثلاثون

في اختتام هذا المختصر وجلوس يوسف بك كرم حاكماً عوض القائمقام الامير بشير احمد ومجي داود باشا متصرف جبل لبنان

قد ذكرنا في الحادث الثاني من الامير بشير احمد انهُ كان غير مقبول من اهالي جبل لبنان ومن ثمَّ التزم بالنزول الى بيروت وبقي جبل لبنان بدون حاكم خصوصي. (٦٦) ولكن لاجل تقدُّم يوسف بيك كرم في كسروان قبلت الدولة العثمانية ان يكون المذكور حاكماً لان سفير دولة فرنسا الجنرال بوفور كان هذا قصدهُ ورأيهُ . ومن ثمَّ شاع خبر تولّي يوسف كرم ولاجل ذلك اهل كسروان عملوا جمعية في احدى القرى في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٠ واتفقوا على هذا ان المشايخ اذا رجعوا الى بيوتهم هم لا يعاوضونهم ثمَّ لا يقبلون ابداً الامير بشير احمد عليهم حاكماً. واتفقوا ايضاً اذا يوسف بيك كرم طلب المعي يجاوبوهُ انهم بعد خمسة وثلثين يوم يعطونهُ جواب ذلك. وفي تلك المدَّة يدبّرون لهم ما يوافق صالحهم . ثمَّ بعد خمسة ايام من هذه الجمعيَّة تسمَّى يوسف كرم حاكماً على النصارى فقط عوض القائمقام وأُعطي لهُ نيشان الشرف من الدولة العثمانيَّة ودُعي بيكاً . وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني من السنة المذكورة جاء الى كسروان وجعل جلوسه في قرية جونية على شاطئ البحر

فهذا الرجل هو من بلاد جبَّة بشرّي من قرية اهدن من والدين مسيحيّين من الطائفة المارونيَّة ذو علم وتقي السيرة غير مزوَّج ولكن صار قليل السعي في الوظيفة التي أُعطيت لهُ لانهُ لم يقدر ان يعمل ترتيباً عمومياً وراحة سياسيَّة لادارة حكومته.

لانهُ ذلَّل الامراء والمشايخ بتحارير (٦٧) مهينة وطلب من الاهالي مال الميري بسرعة وطلع على انطانيوس شاهين بعسكر وضرب بيته ورجاله ضد خاطر الدولة الفرنساوية. لانهُ حين علم الجنرال بوفور هذا العمل حالاً خرج من بيروت واسرع بالطلوع الى قرية ريفون وارجع انطانيوس شاهين الى بيتهِ والزم يوسف بيك كرم المصالحة مع المذكور. فمن هذا القبيل وغيره صار نفور القلوب بين يوسف بيك كرم وبين جنرال دولة فرنسا. وقد تعاظم ما بينهم النفور حتى انَّ يوسف بيك المذكور نزع عنهُ حماية فرنسا التي كان قبلاً اخذها كانهُ رعيةٌ خصوصيةٌ للدولة المذكورة

فلمَّا نظرت الدول المتحابة انَّ حال جبل لبنان اذا بقي على هذه الصورة سيخرب بالكلية لذلك رأوا المناسب ان تصير جمعية عمومية ملوكية في القسطنطينيَّة لاصلاح وتدبير سوريا. ومن ثمَّ سافر الى المدينة المذكورة من كل دولة سفيرٌ خصوصي لاجل عمل الجمعيَّة المقصودة. وقد تمت نهايتها في هذا ان يكون حاكم خصوصي ومتصرّف عامّ على جبل لبنان كلهِ يحكم على النصارى والدروز بالسويَّة. وان يرتّب تدبير حكومته تدبيراً عمومياً كما تمّ برأي وترتيب هذه الجمعية. وان حاكم جبل لبنان واجب ان يكون رجلاً مسيحياً كاثوليكياً ليس لهُ حزب في الجبل المذكور. ولاتمام هذه الغاية اختار اعضاء الجمعيَّة (٦٨) المذكورة غرابيد افندي داوديان رجلاً ذا فطنة وحسن التدبير من طائفة الارمن الكاثوليك قسطنطيني الاصل كان سفير الدولة العثمانيَّة في بلاد الانكليز

فبعد نهاية هذه الجمعية وانتخاب الرجل المذكور قبلت الدولة العثمانيَّة مع بقية الدول رأي ومشورة الجمعيَّة القسطنطينيَّة ودعت كرابيد افندي داود باشا متصرف جبل لبنان وسلَّمتهُ علامتها الشريفة. وفي اثني (اثناء) هذا مات السلطان عبد المجيد وجلس عرشه اخوهُ السلطان عبد العزيز فهذا السلطان العظيم قُبل وثبَّت رأي الجمعية القسطنطينيَّة وداود باشا معاً وارسلهُ الى سوريا

فبعد ان وصل الباشا المذكور الى بيروت وارتاح من تعب الطريق قرأ فرمان ولايتهِ في بقعة خارج المدينة تدعى الحرش في ١٨ تموز سنة ١٨٦١ وهناك صار احتفال عظيم وقد حضر هذا الاحتفال صاحب الدولة فؤاد باشا واحمد باشا والي ايالة صيداء وكل اصحاب الرتب في باب الحكومة وجميع اكابر بيروت وبلاد جبل لبنان. وقد وجد

في هذا الاحتفال ثلثة بطاركة اعني الروم والارمن والروم الكاثوليك ومطارين وقسوس كثيرون. ومن بعد قراءة الفرمان وترتيبات اصلاح الجبل غيّر داود باشا حالاً ثيابه اعني شلح ثياب الافتخار ورفع عن رأسه نيشان الشرف المعطى له (٦٩) من الدولة العثمانية الذي هو نيشان من ذهب كصورة الشمس وفي وسطه قطعة من الالماس. وتوجّه وقتئذٍ الى الجبل الى دير القمر مركز ولايته وصار يحكم على الدروز والمسيحيين بوجه العموم ورتب الجبل في ستة قضاءات تحت كل قضاء مديرون حسب احتياج ذلك القضاء.

وفي تلك الايام ظهرت حركات القلق في بلاد جبيل والبترون لانهم كانوا يقولون انهم لا يريدون ان يقبلوا الامير مجيد عليهم حاكماً بل كانوا يطلبون ان يكون حاكمهم يوسف بيك كرم. ولهذا اقتضى ان يتوجّه اليهم داود باشا بشخصه وبقطعة عسكرية هدّى تلك البلاد وقبض على يوسف بيك كرم وارسله الى الاستانة العلية منفياً الى زمن غير محدود

وفي تلك الايام ايضاً صدر شرف الصدارة الى صاحب الدولة فؤاد باشا ودُعي الصدر الاعظم. ولذلك توجّه من بيروت الى الاستانة العليّة الى كرسي الصدارة في اليوم السابع عشر من شهر كانون الاول غربي سنة ١٨٦١ بعد ان صار الهدوّ والسلام في سوريّا. ونؤمل ان يكون دائماً بعناية السلطنة السنيّة وبراحم الله الملك الابدي الذي له الحمد والملك الى الابد امين (تمّ)

قاسيون والخرافات

كلمة وجيزة لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

ظهر تحت هذا العنوان انتقاد حديث لكاتب نضرب الصفح عن اسمه لئلا نمهد له الطريق لشهرة يطلبها. ودونك تعريف سبب الجدال:

أُنشئت منذ ربع قرن في هولندة "معلمة" تدعى بمعلمة الاسلام (l'Encyclopédie

(de l'Islam وهي تنشر في ثلث لغات الافرنسية والالمانية والانكليزية يحرّر موادّها أعلام المستشرقين في انحاء المعمور. وليس لاحد ان يؤاخذني ان كان يجهل لا نيا اسم المنتقد عليّ. فلم يُرَ هناك فصل موقَّع بامضائه

ولهذه اللجنة الادارية طريقة خاصة في تحرير فصولها. فانها تبتدئ بتدوين المظانّ التي ترغب في نشرها ثمّ توسل نسخاً من تلك اللائحة الى العلماء الذين يشاركونها في العمل تتطلب منهم اسماء المواد التي يحبّون الكتابة عنها ثم تتوسّل اليهم بان يفيدوها عمّا يكون فاتها من المواد الواجب ذكرها. وقد بلغني من اربابها قبل خمس عشرة سنة لائحة مظانّ حرف القاف فألفتُ نظرهم الى ذكر قاسيون الجبل المشرف على دمشق واعلنتُ لهم باني مستعدّ لاستدراك الخلل. فرضوا بكلامي واشترطوا عليّ بان اختصر المادة ببعض السطور فخصصت لتعريف هذا الجبل ٢٣ سطرًا فذكرتُ اخص مميّزاته الجغرافية من موقع وعلوّ الخ. ثم ذكرتُ ما ورد عنه في الحديث وما قالهُ عنهُ اخصّ الكتبة المسلمين محيلًا للقرّاء الراغبين في زيادة معلومات الى تآليف هؤلاء الكتبة

فمن ثمّ ترى انّ «قاسيون» لولا افادتي عنهُ لما ورد لهُ ذكر في تلك المعلمة. أفما كان يجب على المنتقد الفضولي ان يشكر لي فعلي بدلًا من ان ينتصب نصبة الملامة والتقطع فهو يدّعي انهُ كان من الواجب عليّ ان اصف جيولوجية ذلك الجبل وتاريخهُ القديم والحديث ومعلومات أخرى لا يبحث عنها احد في هذه المعالم العمومية. ولو عدل المنتقد لراجع مجموع جغرافيي العرب في ثماني مجلدات فلا يجد البتة ذكرًا لقاسيون. وهذا «الشامي» المقدسي «الجغرافيّ الكبير مع كونهِ ابن الوطن ترفّع عن ذكر قاسيون في كتابهِ معرفة الاقاليم. ومثلهُ البكري في معجم ما استعجم. امّا ياقوت الذي ذكر هذا الجبل في معجم البلدان (٤: ١٣-١٤) فقد خصّهُ بصفحة وربع لا يستفاد منها إلّا ما ذكرناهُ لهُ عن آثار الصالحين وذلك ما ينظمهُ منتقدنا في عداد الخرافات ولا نظنهُ يلومنا لسكوتنا عن القصيدة التي دوّنها ياقوت ليعتذر عن فقر مادّتهِ. ومن ثمّ ترى انّ كل كتبة العرب مجمعون على انّ قاسيون لم تلعب قديمًا ايَّ دور كان في مسرح التواريخ كما انّ فائدتهُ الجغرافية فارغة باطلة. ومها طبّل منتقدنا وزمّر فليس لهُ ان يقنع احدًا بان قاسيون يجاري احد الجبال الشامخة كلبنان والجودي والالب

الخ. ولا بأس لو جهل احد الادباء اسم هذا الجبل الاجرد الذي لم يأوِ اليه غير المعزى وكواسر الطير فليس من يستطيع ان يلومهُ عن جهلهِ

فلماذا اذن قام منتقدنا معترضاً؟ أليسَ كثيراً اشرف قاسيون لوجودهِ أننا بسنتاه خسفاً مع كوننا اخرجناه من زاوية النسيان التي كان كبار الجغرافيين تركوهُ فيها؟ لا لعمري وانا نشعر بحماية هذا الجبل لرشقنا بسهمهِ الطائش فيردَّ هكذا على انتقادنا لما ألّفهُ عن الشام فيثبّا له بكل لطف انَّ تأليفاً كهذا يحتاج الى استعداد طويل وشاقّ والى معلومات متعددة لغويّة واثريّة وغيرها مما لم يسبق الى جمعها واحرازها. وقد اقرَّ ولو مرغوماً أننا «صرفنا حياتنا في درس تاريخ هذه الديار». ونحن ننتهز هذه الفرصة لنذكّر منتقدنا وكل طالبي العلوم التاريخيّة بما نشرناهُ في السنة الاولى من المشرق تحت عنوان «هبّا على درس تاريخنا» حيث بيّنا شروط الاستعداد لهذا العلم الخطير. فعلى صاحبنا اذن بالدرس والاجتهاد فهذا افضل من توغلهِ جبل قاسيون ليتخذهُ كوطئ قدم لشرفهِ وشهرتهِ

كتاب تقسيم المواريث

حسب المذهب الحنفي والقانون الفرنساوي بقلم الاستاذ أمين بك السعد

تعريفه بقلم ابرهيم بك ابي سمرا قائم مقام صلح جبيل

ذكرت جرائد الوطن في حينهِ خبر عود حضرة العالم القانوني الاستاذ امين بك السعد من عاصمة الفرنسيس مكللاً بالنجاح وفائزاً من كليتها بلقب دكتور في الحقوق. انَّ العادة المتبعة في كليّات العالم ان من شاء الحصول على هذا اللقب يختار موضوعاً ذات تعلق بعلم الحقوق فيعلن فيهِ أطروحةً (thèse) يبحث فيها بحثاً علمياً وانتقادياً فيزيد القضيّة جلاءً ووضوحاً ويعرضها على العلماء فيجتمعون حيث يصارعونه صراعاً علمياً ويغالبونه تمحيصاً وتدقيقاً واعتراضاً وجدالاً حتى يخرج من هذا العراك

ظافرًا بامنيّته ومعصوب الجبين باكليل الفوز والغلبة ويُنادى به دكتورًا . وقد اتخذ حضرة امين بك موضوعاً لدرسه «علم المواريث حسب المذهب الحنفي والقانون الفرنساوي» وسمّى كتابه «الارث بدون وصية» (la Dévolution ab intestat) فجاء في مائة وست وعشرين صفحة

قرأتُ هذا التأليف النفيس بلذّة وفائدة فوجدته يحتوي على مقدمة وقسمين فبيّن في المقدمة خطورة الموضوع . لان هذا العلم يُعدّ كانه منزّل من السماء ويُسنَد معظمه الى القرآن والحديث والصحابة والأئمة وغيرهم من العلماء الاعلام المعروفين بالمجتهدين الذين اشتغلوا نحو ثلثمائة سنة في وضعه وان لم يكن الاتفاق بينهم تاماً . ولا يغرب عن فكرة احد ان تقسيم المواريث لا يخلو من معايب ربما كانت غير ظاهرة في زمن نبي الاسلام ومن جاء بعده من الائمة لكنّ المسلمين قضوا زمناً طويلًا وهم لا يقدمون على مسّه لئلا يقوّضوا اركان الشريعة والشريعة مقدسة عندهم . غير ان فريقاً منهم مجتهد في هذه الايام في ان يرى في القرآن قسمين يفترق احدهما عن الآخر : فالقسم الاول له مزية دينية محض وهذا لا يمكن مسّه . والقسم الثاني له مزية مدنية وهذا قابل للتبدّل والتحوير ككل الشرائع البشرية . والمسألة في غاية الدقة تكتنفها صعوبات شتى الّا انه لا يصعب حلّ عقدها . وها ان حكومة انقرة قد اخذت على عاتقها تحت اشراف الغازي مصطفى كمال في تمهيد العقبات سالكاً في جادة الاصلاح . ويقول امين بك ان هذا التطور قد بدأ منذ سنة ١٨١٠ وهو الزمن الذي كُسر فيه قانون الجزاء وقد أُلغيت منه عقوبة المجرم بنفس الجرم اي السنّ بالسنّ والعين بالعين . وقد بيّن المؤلف في المقدمة على انه اقتصر فقط على الكلام في علم المواريث حسب المذهب الحنفي وهو المتبع رسمياً في لبنان وسورية وعلى المقابلة بين طريقة هذا المذهب والطريقة المتّبعة في فرنسا

﴿الشرع والفقه﴾ ثم اخذ حضرته يتكلم في القسم الاوّل من الكتاب عن تاريخ الشرع الاسلامي وتحديده فافاض في بيان المراسيم التي وضعها محمد او التي وضعها من بعده الائمة الذين اجمع المسلمون على الاعتراف لهم بقوّة التشريع . فقال ما ملخصه : ان الشرع اذًا هو من صنع محمد والائمة وامّا القوانين فهي من وضع السلطان والسلطان لا يُقدم على نشرها للعمل بموجبها الّا بعد اخذ رأي شيخ الاسلام وهو

رئيس علماء الشرع للتحقيق كونها لا تنافي الشريعة. وقد عرّف ابن خلدون الشرع بانه جميع القضايا التشريعية التي وردت في القرآن والسُّنّة. ان القرآن هو الكتاب الذي يعتبره المسلمون وحياً من الله الى رسولهم. واما السنّة فهي مجموع التقاليد التي تتعلق ببعض اقوال واعمال محمد. فالشرع اذاً هو الدستور الموحى به من الله: والفقه هو مجموع تفاسير الفقهاء للشريعة. والقانون هو المراسيم التي يضعها السلطان ليتمّم ما لم يرد له ذكر في الشريعة

﴿ينابيع الشريعة الاسلامية﴾ ثم اتى على تعريف الينابيع التي يستقي منها القانون الاسلامي موادّه فاذا هي ثلاثة: القرآن والسنّة واجماع الايمّة. وهناك ايضاً ينبوعان لم تجتمع كلمة الايمّة عليهما وهما القياس والعُرف. ثم توسع في بيان محتويات القرآن المشتملة على ١١٤ سورة واوضح ان قوانين كثيرة لم تحتوها آياته فعمد العلماء بعد وفاة نبي الاسلام الى سد الفراغ فلجأُوا الى الحديث الذي هو الينبوع الثاني للشريعة الاسلامية

فالسنّة او التقليد تحتوي على اعمال واقوال وجوابات صريحة او مستترة للنبي أصبحت كسنة الوحي. فالقرآن هو الشريعة الالهية الموحى بها والمكتوبة. واماً السنّة فهي ايضاً الشريعة الالهية المأخوذة من اعمال واقوال محمد اي «حديث» ولولا الحديث والتقليد لتعذر ايجاد شريعة تامة

﴿الاجماع والاجتهاد﴾ واما اجماع الأمة فهو مبني على الحديث النبوي القائل: «وجماعتي لا تتفق على الضلال». والاجماع لا يعني اتفاق عموم المسلمين على وضع الشرائع وهذا غير ميسور لتفاوت درجاتهم في العلم بل اتفاق رفقاء النبي وهم الصحابة ثم خلفائهم وخلفاء خلفائهم الذي يُعبَّر عنهم بالفقهاء. والذي يجعل الشرع الاسلامي ميزة على سواه ان حق الاجتهاد لم يكن متساوياً في جميع الفقهاء والمجتهدين. فهؤلاء يقسمون اجمالياً الى ثلاث طبقات: (الاولى) تشمل المجتهدين المعروفين بهذه الصفة وهم اصحاب الرسوم ومؤسسو المذاهب. فهم وحدهم قد خُوِّلوا الاجتهاد المطلق او الاجتهاد في القرآن او السنّة. وقد انقضى زمن هذا الاجتهاد في اواخر الجيل الثالث للهجرة. وبحسب قول ابن خلدون قد صار مسلَّماً بانه منذ الجيل الرابع قد سُدّ باب الاجتهاد. لكنّ هذا الرأي لم يسلم به غير اهل السنّة واماً اهل الشيعة فانّ باب

الاجتهاد عندهم لم يزل مفتوحاً على مصراعيه

اما (الطبقة الثانية) فهي تتألف من تلامذة المجتهدين السابقين الا ان اجتهادهم لا يتناول غير المسائل الثانوية التي تتعلق باحترام المبادئ الاساسية للمذهب الذي ينتمون اليه فهم اذاً مجتهدون في المذهب . (والطبقة الثالثة) هي التي تشمل كل المجتهدين الاخرين الموكول اليهم البتّ في المسائل التفصيلية التي لم تحلّ بعد والتي يجب فصلها حسب الطريقة المتبعة من رئيس مذهبهم وهذا ما يسمونه الاجتهاد في المسائل . وهكذا فانّ الاجتهاد اخذ يتناقص تدريجاً الى انه لم يبقَ في اواخر الجيل السادس للهجرة مجتهدون بحصر المعنى . وقد بقي المقلدون الذين ينحصر عملهم في تفسير القضايا التي اتفق عليها المجتهدون بدون ان يكون لهم فيها رأي خاص بهم

ثم تساءل المؤلف رحمه الله قائلاً : تُرى هل يوجد اجماع حقيقة الفّـه بين هؤلاء العلماء ؟ فيجيب : كلّا ! لانه ثبت ثبوتاً لا جدال فيه ان المشترعين لم يعقدوا قطّ اجتماعاً للمباحثة في قضيّة ما من القضايا التي وقع خلاف بشأنها لا بل ان اعظمهم شأناً واعلاهم كعباً كالائمة ابي حنيفة والشافعي ومالك وحنبل كانوا يقطنون بلاداً او انحاء مختلفة بينها أبعادٌ شاسعة . فكل واحد منهم كان يعمل منفرداً . وكانت له نظريته الخاصة وطريقته المستقلة واتباع مشايعون له . وقد وقعت مجادلات عنيفة بينهم ولم يتم الاتفاق مرة بينهم على قضيّة الّا بعد مقارعات حامية الوطيس . ولم يكن وجود اربعة مذاهب عدا ما تلاشى منها الّا دليلاً على عدم الاجماع وسيظهر هذا الانقسام في الرأي عند الكلام عن قضية المواريث . وان قيل ان الاجماع قد وقع على المبادئ فان المؤلف يرى الخلاف قد تحكم في قضايا كثيرة فرعية . ومن يطالع كتاب امين بك يجد حين الكلام عن علم المواريث مثالين مدهشين من امثلة هذا الخلاف بين الائمة فالاول يتعلق بذوي الارحام الذين يعدّهم ابو حنيفة وحنبل بين الورثة بينما ان مالكاً والشافعي ينكران عليها هذا الحق . والثاني يتعلق باختلاف الداريين او التابعين فان ابا حنيفة يحرم الارث بين غير المؤمن الذمي والحربي خلافاً للشافعي . اذاً في القضية رأيان متخالفان وقد أتبع كل منها في الديار الاسلامية واثبتته الاحكام الشرعية . وقصارى القول ان الشريعة لم تتحدر من الاجماع وانما هي على الغالب متون رأي واحد او اكثر من المشترعين

﴿القياس﴾ ثم تكلم علامتنا عن القياس فاجاد في تعريفه فقال: «ان القياس من فعل قاسَ ومعناه قدَّر وقابَلَ. فهو بمعناه العام الاستنتاج العقلي والحصر هو طريقة تُستخرج بها من القرآن والسنة والاجماع استنتاجات من شأنها ان تطبَّق عليها حالات جديدة». ثم تساءل عما اذا كان القياس مصدراً من مصادر الشريعة فاجاب: ان بعض المؤلفين قد اثبتوهُ وفي بيروت هم من هذا الرأي سواء كان في مدرسة الحقوق او في المحكمة الشرعية. وقد صرَّح به ايضاً سواس باشا في كتابه المشون: «بحث في نظرية الشرع الاسلامي» واما العالم غولدزيهر فانه ينكره في انتقاده هذا الكتاب. ويجاريه في ذلك المتشرع موران اذ يقول في مقدمة كتابه «في الشرع الاسلامي الجزائري»: ليس القياس في الواقع ينبوع اساس لتشرع فما هو الا طريقة تفسير واستعمال الينابيع واداة لتهيئة موادّ الشريعة بين الفقهاء المجتهدين ويدخل هكذا ايضاً في الاجماع. وبيل امين بك شخصياً الى اتباع هذا الرأي بقوله ان القياس يمكنه ان يستخدم في موادّ عديدة فليس هو خاصاً بالشرع الاسلامي فضلاً عن ان قوّة الاستنباط لم تكن من مميّزات ايّ شخص كان ولا اي عصر من العصور. ومن ثم يجب ان يكون لعلماء عصرنا الحق بان تكون لهم القدرة بطريق القياس ليوجدوا قواعد جديدة للشرع مطابقة لحاجيات التمدن الحاضر

وربما يعترض بعضهم على ان باب الاجتهاد قد سُدَّ منذ زمن بعيد وان المجتهدين وحدهم كان بوسعهم ان يستخدموا القياس. ولكن ألا يعني ذلك بانّ القياس لم يكن سوى طريقة من طرق الاجتهاد وانه لا يمكن ان يؤلف ينبوعاً مستقلاً من ينابيع الشرع؟ ثم زاد القضية بياناً فقال: ان لابي حنيفة الفضل في استعمال القياس وفي ادخاله هذه الطريقة العلمية في صوغ الشرع الاسلامي وتوسيع نطاقه وقد تبعهُ تلاميذه في هذه الطريق. ولكن القياس لم يكن بوسعه وحده ان يسدّ نواقص هذا الشرع وانه كان يعوزه غالباً اساس يُبنى عليه. فلجأ هذا الامام وتلاميذه الى الرأي يعني الرأي الاصيل الذي يصون من الخطل كما يفعل القضاة في ايامنا حيث لا يجدون في الشريعة نصاً يمكن تطبيق القضايا المعروفة لديهم عليه. والرأي قد لعب دوراً كبيراً حتى انهُ رغماً من كون كلمة قياس لا ترادف كلمة رأي فانّ ابن خلدون يقول ان علماء العراق كانوا يوصفون باهل الرأي. وما يقال عن القياس يقال ايضاً عن العُرف او العادة

فقد أُستعين بها كثيراً في بناء الشريعة . وقد لبّى الامام مالك الى عُرف المدينة واستقى ابو حنيفة من مناهل العرف عند السوريين والرومانيين والفرس

ومن حين أُقفل زمن الاجتهاد تحكّمت العادة في قضايا كثيرة حسب ظروف الزمان والمكان كما ورد في المادة ٣٦ والمادة ٣٧ من المجلة

﴿المذاهب الاسلامية الاربعة﴾ ثم اخذ المؤلف يتكلم عن المذاهب الاربعة التي اجمع المسلمون بعد مناقشات طويلة على اعتمادها والاعتراف بصحتها وهي :

(اولاً) المذهب الحنفي الذي أسسه ابو حنيفة النعمان بن ثابت من الكوفة الذي ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٣٠ للهجرة وقد لُقب بالإمام الاعظم لانه فاق من تقدّمهُ . وكان يجلس في احد الجوامع ويلقي تعاليمه شفاهاً فيلتقطها تلاميذه الذين اشتهر بينهم اثنان وكان لهما الفضل الاكبر في نشر المذهب الحنفي وهما الامامان ابو يوسف ومحمد

(ثانياً) المذهب المالكي وقد اسسهُ ابو عبدالله مالك (٩٧ــ١٧٩م) واضع من المدينة وقد تغلّبت عادة اهل المدينة على مذهبه الذي اتبعه اهالي الحجاز وسواحل افريقية الشمالية

(ثالثاً) المذهب الشافعي وقد اسسه ابو عبدالله ادريس الشافعي (١٣٠ــ٢٠٤م) وقد عُني كثيراً في درس الحديث وصنّف فيه كتاباً دعاه المسند توخّى فيه مناهضة ما رآه من تعاليم المذاهب الاخرى من التوسّع في الحرية لاسيما في التعاليم الحنفية فقاوم القياس والرأي وجميع ما رأى فيه خارجاً عن النصوص القرآنية

﴿المذهب الشيعي﴾ وقبل ان ينهي حضرة المؤلف بحثه هذا في المذاهب الاربعة اتى على تعريف المذهب الشيعي والمذهب الوهابي فقال : ان الشيعة اوجدتها السياسة ومنشأها التزاحم الذي قام على الخلافة بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية التي ملكت دمشق من السنة ٦١ الى ١٤٤ فكان لكل منهما اعوان فدعي مناصرو علي شيعيين . وبموجب تعليمهم لا يمكن الخلافة ان تكون الا لعلي ولسلالته لان محمداً لم يُرزق اولاداً ذكوراً فحقّ لصهره علي زوج وحيدته فاطمة ومن بعده لاولادهما تولّي الخلافة . ولهذا فانهم لا يعترفون بخلافة ابي بكر وعمر وعثمان . ولا يختلف الشيعيون من السنّيين الا بهذه المسألة ولا يعترفون بان الاجماع هو اساس الشريعة ويعتبرون ان باب الاجتهاد لم يزل مفتوحاً على مصراعيه . وللشيعيين

مذهب خاص بهم وهو المذهب الجعفري . وقد سألوا فتالوا مؤخرًا من دار الانتداب ان يكون لهم قاض يرجعون اليه في قضاياهم المذهبية

﴿ الوهابيون ﴾ أما الوهابيون فانهم يرتقون الى النصف الثاني من الجيل الثامن عشر ومؤسس مذهبهم يُدعى عبد الوهاب المولود في بلاد نجد سنة ١٧٢٠ . فعلى اثر سياحة قام بها في اهمّ مدن الشرق عاد يقول بان الاسلام قد تفشّت فيه مغايرات ومعايب فجدد في محاربتها وازالتها رجوعاً الى نضارة الدين الاصلية . ويقوم المذهب الوهابي بهمة الاصلاح الديني بإعادة تقاليده القديمة اليه وتنقيته من التقاليد الفاسدة فليس هو سوى فرع من المذهب الحنبلي . وهو يقاوم التكريم الذي يؤدى النبي وللاوليا . ويحسب ذلك فرعاً من الوثنيّة لان الناس هم متساوون امام الله فلا يمكن الواحد ان يكون شفيعاً لديه من الآخرين . وقصارى القول ان الوهابيّة في الاسلام كالبروتستانيّة في المسيحيّة . وقد استولى الوهابيون على الاراضي الاسلاميّة المقدسة سنة ١٩٢٤ــ١٩٢٥ وكانوا قد فتحوها قبلًا سنة ١٨٠٣ تحت قيادة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود معاصر وحامي عبد الوهاب . الّا انّ محمد علي باشا عزيز مصر استعاد منهم المدينة سنة ١٨١٢ واتمّ ولده ابراهيم باشا اندحارهم سنة ١٨١٨ باستيلائه على عاصمتهم داريا ومنحت الدولة العثمانيّة هذا الفاتح لقب امير مكة مكافأةً له على المساعدة العظيمة التي اولاها لها . ان المذهب الوهابي حديث العهد كما تبيّن مما تقدّم . فهل يؤثر قيام دولة ابن سعود على انقاض الدولة الحسينيّة الحجازيّة في نشره وتغلبه في سائر البلاد الاسلامية حتى يتغلب على المذاهب الاخرى ؟ اقول : بلا . والناس كما ورد في الحديث على دين ملوكهم . ومَن يعش يرَ

ثم تطرّق حضرة الاستاذ الفاضل الى التعديلات والتبديلات التي أدخلت مع تمادي الايام على الشريعة والانظمة الاسلامية لاسيا في عهد الدولة العثمانيّة والتي منحت جميع رعاياها حقوقاً متساوية وخوّلت بفرمان سنة ١٢٨٥ المسيحيين الحقوق التي كانت للمسلمين واعفتهم في ٢٠ رجب سنة ١٣٢٧ لقانون الخدمة العسكريّة

﴿ القسم الثاني ﴾ بعد ان فرغ المؤلف من الكلام في هذا الموضوع واجاد اخذ في قسمه الثاني يتكلم من الفرائض بحسب المذهب الحنفي والقانون الافرنسي فوفاهما حقهما بياناً وتعريفاً وتحيصاً وانتقاداً . وتمنينا لو ان هذا الكتاب يترجم الى اللغة العربية

ليستفيد منهُ ابناء هذه اللغة الذين يجهلون الافرنسية . وقد اعتبرتُ الجرأة التي رأيتها في كلام امين بك في انتقاد طريقة تقسيم المواريث المتبع في بلادنا بدون ان يخلّ بالاحترام الواجب للاساس المبني عليه . وهو يشعر بصعوبة موقف الذين يحاولون ان يحوّروهُ ليكون اكثر انطباقاً على مصلحة الناس في عصرنا الحاضر . فالمؤلف يتمنى ان يخرج لبنان من قيود الشريعة كما خرجت انقرة فيضع لنفسه شريعة خاصة لتقسيم المواريث يكون اساسها الارادة الوطنية . وهو يستحسن ان تُلغى المحاكم المذهبية وتوحّد القوانين والنظامات فيكون ذلك اكبر مساعد على امتزاج العناصر وتآخيها . انَّما هذه الامنية لا ينال تحقيقها سهلاً وليس ما يكفل لنا حسن نتائجها ونحن مع اعترافنا بفضل الشرائع المدنيّة التي تسنّها اوربّة الآونة بعد الاخرى والتي شاءت انقرة الدولة اللادينيّة الحديثة في تركية الجري في مضمارها نجد كثيراً من هذه الشرائع تعمل على تفريق كلمة ابناء الوطن الواحد وتخريق وحدتهم بدلاً من تآليفهم . اذاً ان الشريعة الفضلى التي ترضى بها جميع العناصر في هذه البلاد هي التي لا تنافي جوهر ايّ دين من الاديان المعروفة وهي التي ترجو اتباعها . ولنا بحكمة وتروي وحسن بصيرة النجباء من ابناء الوطن اللبناني امثال حضرة امين بك السعد ان تكون هذه الخطة رائدهم فلا يسلكون طريقاً وعر المسالك . وليعلموا دائماً ان عقلية لبنان وسوريّة هي غير عقليّة اوربّة . واني اختم مقالي بالثناء على علامتنا الجديد لوضعه هذا الدرس النفيس المفيد الذي نعده باكورة اعماله العلمية ومقدمة ان شاء الله لمؤلفات اخرى ينتفع بها البلاد . وفقه الله الى ذلك

مطبوعات شرقية جديدة

Bibliothek arab. Historiker u. Geographen herausg. von **Hans v. Mzik**, 1° Das Kitâb al-Wuzarâ wa-l-Kuttâb d. Abû 'Abdallah. M. al-Gahšiârî = 2° Das Kitâb Ṣûrat al-Arḍ d. Abû Ga'far M. al-Ḫawârizmî. *Leipzig. Otto Harrassowitz, Leipzig*, 1926, *in-4. pp. XII-408 et XXXI-162,5 Planches*

تاريخ الوزراء والكتّاب للجهشياري وكتاب صورة الارض للخوارزمي

باشر متولي نظارة مكتبة فينّا العلّامة هانس فون مزيك نشر مجموعة فريدة من

تآليف قديمة من انفس تآليف العرب يطبعها في مدينة فينَّا بطبعة ادولف هولزهوزن. وها هوذا قد انجز منها كتابين جليلين: (الاوَّل) كتاب الوزراء والكتَّاب لابي عبدالله محمَّد بن عبدوس الجهشياري من نسخة وحيدة لا يُعرف غيرها محفوظة في دار الكتب الوطنية في عاصمة النمسة. تاريخها سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) وهي من اقدم الآثار التاريخيَّة تتناول اخبار الوزراء والكتَّاب مباشرةً بذلك فارس بفصل وجيز ثم باخبارهم من اوَّل عهد الاسلام الى زمن خلافة المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م).

أمَّا الجهشياري فلا نعرف الَّا القليل من اخباره وكتابة هـذا يدلُّ على علم واسع وادب وافر ضمَّنهُ كثيراً من مآثر الوزراء والكتَّاب التي تُرى متفرّقة في غيره. وله تآليف آخر في سيرة الخليفة المقتدر. وكانت وفاتهُ سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) ونسخة كتابه مخطوطة بالخطّ النسخي الجليّ. فنشرها الاستاذ مزيك مصوَّرةً طبقاً للاصل على ورق صفيق وسيلحقها قريباً بفهرس اعلامها ويضيف اليها معلومات أُخر. أمَّا (الكتاب الثاني) فهو سفرٌ بديع من تآليف ابي جعفر محمَّد الخوارزمي الشهير دعاهُ كتاب صورة الارض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار استخرجهُ من كتاب الجغرافية الذي ألَّفهُ بطلميوس القلوذي. نشرهُ بالحرف الطبعي الاستاذ المذكور من النسخة الفريدة منهُ المصونة في مكتبة ستراسبورغ والتي سبق المستشرقون فوصفوها غير مرَّةٍ في منشوراتهم وبيَّنوا ما لها من عظم الشأن. وكفى باسم الخوارزمي وبذكر بطلميوس بياناً لمقامها لاسيما انَّ البلدان والامكنة معرَّفة باطوالها واعراضها المقيسة في ذلك العهد. وفي آخر الكتاب ستّ صور شمسيَّة منقولة من النسخة الاصليَّة. فلا غرو ان سيستقبلهُ العلماء بمزيد الشكر لناشره الفاضل ل. ش

C^{el} M. Larcher: La guerre turque dans la guerre mondiale, 1 vol. 8°, 681 *pp.*, 65 *croquis*, 40 *tableaux*, *Paris*, *Et. Chiron*, 1926, *Prix* 45 *f*

الحرب التركيَّة في الحرب الكونية

انَّ الدول الاتحاديَّة عموماً والفرنساويين خصوصاً لانشغال افكارهم في امور بلادهم في زمن الحرب الكونية كانوا ساهين نوعاً عمَّا يجري في تركيَّة من الادوار السياسية الهامَّة. فخصَّ الكومندان لرشه دروسهُ بتفاصيل تلك الاحوال وتتبُّعها في ادوارها المختلفة منذ الزمن السابق للحرب الى اواخرها وبيَّن ما كانت تنويه المانية من

بسط سلطتها على الشرق الادنى والنماء النفوذ الفرنسوي هناك . فجاء بتفاصيل مدهشة تكشف القناع عن مطامع الالمان في تلك الآونة . ثمّ الحق دروسه بذكر الحوادث التي جرت بعد الحرب في الاستانة واثبت تغافل فرنسة عن مراقبتها وتنفيذ مصالحها فيها بازاء خصومها . والكتاب يروي كل ذلك بعبارة سهلة وادلّة قاطعة ونظر صائب من شأنه ان يزيل كل شبهة عمّا اراد بيانهُ ل . ش .

Campagne des Dardanelles: Etat-Major général turc, service historique, traduit du turc par le Cᵗ M. Larcher, 8°, 94 *pp.*, 9 *croquis*, *Paris*, 1924. *Et. Chiron*, *Prix* 5 *f*

حرب الدردنيل

هذا كتاب ثانٍ للكومندان لرشه نقلهُ عن التركية سنة ١٩٢٤ . امّا الاصل التركيّ فنشرته عمدة الحرب في تركيّة سنة ١٩٢٢ فاجتهدت ان تروي وقائع الدردنيل التي جرت في أيام الحرب بكل ضبط وتدقيق بياناً للحقيقة . وزيّنت نشرتها بخوارط وتصاوير شتّى . فرأى الكومندان لرشه ما في نقل هذا الكتاب من الفوائد ليقف اهل وطنه على مضامينها ولم يتصرّف بشيء منها وانما اضاف الى تواريخها ما يوافقها من التاريخ الغربي وكذلك ساعاتها النهارية والليلية وقد صوّر أعلامها على لفظها الاصلي الشائع ج . ل

Klinghardt (Karl): Türkùn Jordu, Der Türken Heimatland, 8°, 177 *pp.*, 1 *carte*, 1925, *Hambourg*, *Friederichsen et Cⁱᵉ*, *Prix M.* 6, 50

الوطن التركي

كان مؤلف هذا الكتاب مهندساً في تركية قبل الحرب العالميّة وفي مدّتها عرف تلك الدولة معرفة تامّة ولذلك كان افرد لها اولاً كتاباً واسعاً وصف فيه سياستها ومرافقها وامورها الاقتصادية فاجاد . وها هوذا يشفعهُ بكتاب ثانٍ مداره على جغرافية تركية فيستقري ما لها من الايالات والمدن وعدد السكان ويصف هيئة بلادها ومحاصيلها من ثمار واشجار ثمّ انحاء طوروس ارماكوما يحدق بها من كثبان الرمال ومناجم الملح ثم يصف آطنة ومزارعها القطنية ويتتبع شواطئ البحر المتوسط والاناضول ثم بحر مرمرا وجزائر سفيد وما يُستخرج منها من الاخشاب والفحم ثم ينتهي الى ادرنه والبوسفور والدردنيل وهو في كل اوصافه كثير التدقيق واسع

المعلومات بكلام وجيز . وفي ذلك دليل باهر على انه يصدر عن علم ومعرفة صائبة
ج . ل

Autour de la Méditerranée, par le Chanoine P. Halflants, 1 vol., 224 pp., 88 gravures, Bruxelles, Dewit, Prix 25^fr

سياحة حول البحر المتوسط

الكاهن القانوني هلفلنتس احد كتبة بلجيكا المتازين بوفرة تآليفه وجودة انشائه . فنشر مؤخرًا سياحة الى بلادنا الشرقية فزار اولًا الاراضي المقدسة وجهات فلسطين ثمّ تابع سيره الى بلاد الشام وتركية ومصر واليونان فنشر اخبار رحلته في كتاب جميل أُتقن طبعهُ في مطبعة دسكلاي الشهيرة في بروكسل وزينهُ بابدع التصاوير في عدد ١٨٨ صورة . فجاء من افضل ما كُتب عن هذه البلاد بقلم السيَّاح الذين يقدمون كل سنة الى الشرق ليرووا منهُ غليلهم   ل ش

I Rudolphi (Hans): Die Polarwelt, avec 14 Cartes dans le texte et 35 photogr. = II Graim (Georg): Italien, 28 Cartes dans le texte et 32 photogr. 2 vols. in-12. Idermanns Bucherei. Verlag F. Hirt, Breslau, 1926, ch. vol. relié, 3 M. 50

عالم القطب – ايطالية

هذان جزءان جديدان من المجموعة التي باشر بنشرها محل ايدرمان وهو يطبعها في برسلاو . وقد نوى ان يضمّها الى وصف كافة انحاء المعمور . وقد خصّ احد هذين الجزئين بوصف جهات القطب بقلم هنس روداف مع ١٧ خارطة و٣٣ صورة فوتغرافية لتلك الجهات المكتشفة حديثًا . والكتاب الآخر خصهُ بوصف ايطالية لمؤلفهِ جورج غرَيم في مجلّدين وعدد عديد من الخوارط والصور . فاذا بلغت هذه المجموعة نهايتها كانت افضل جغرافية حديثة لسائر المعمور   ج . ل

G. R. Driver: A Grammar of the Colloquial arabic of Syria and Palestine, 8°, 1924, *Prix S. 12, 6, London, Probsthain and C°*

اصول اللغة العامية في سورية وفلسطين

ليس بالامر السهل وضع كتاب اصول في اللغة العاميَّة الدارجة . فهذا ما حاولهُ الاستاذ دريفر وهو قد خصّ نظرهُ بموجب عنوان كتابهِ باللغة الدارجة في سورية وفلسطين . وقد اعتبر لغتها كلغة واحدة والله اعلم بما بينها من اختلاف اللهجات .

لا بل لا تكاد تجد فصلاً منهُ خالياً من اللهجة المصرية وغيرها فأصبح كتابةً خلطاً لا يُمكن الاستناد اليه لتعليم اللغة العاميّة . ومن نقائصهِ انهُ بالغ في وصف دقائق اللغة العاميّة . بحيث يضيع فيها طالبها لاسيا انهُ لم يُلحق كلَّ باب بتمرينات كان من شأنها ان تسهّل إدراك قواعده . وخلاصة القول لا نظنّ ان هذا الكتاب يصيبُ حظوة كبيرة عند العموم كالتآليف التي سبق اليها غيرهُ من جنسه الاب ر . نخله

Catalogue raisonné des Mss de la Bibl. Or. de l'Université S^t Joseph, par le P. Louis Cheikho, 5^e fasc., Patristique, Conciles, Ecrivains Ecclésiastiques anciens, Hagiologie, *Beyrouth* 1926, pp. 191-304

وصف مخطوطات المكتبة الشرقية (الجزء الخامس)

سبق لنا في اربعة اقسام نُشرت قبلاً وصفُ عدّة مئات من مخطوطات مكتبتنا الشرقية في التاريخ والجغرافية والرياضيّات والطبيعيات والفلسفة والطبّ والاسفار المقدّسة . وهذا القسم الخامس يحتوي وصفاً واسعاً على الطريقة الشائعة في المكاتب الدولية لنحو مئتي مخطوط جديد . وهما يتناول خصوصاً العلوم النصرانية واوّلها اعمال قدماء الآباء الشرقيين والغربيين . ثم المجامع القديمة العمومية والخصوصيّة . ثم أعمال قدماء الكتبة الكنسيين من سريان وكلدان وروم واقباط ممن ازهروا قبل القرن الخامس عشر . ثمّ تراجم الشهداء والقديسين الشرقيين والغربيين ل . ش

Quellensammlung zur Religionsgeschichte, 2 Helft. Die Religionen des Ostens. *Breslau, C. Duelfer*, 1926, 31, *pp.*, *in*-12

المجموعة الاصولية لتاريخ الاديان — الاديان الشرقية

هي كرّاسة وُضعت للمدارس البروتستانيّة تحتوي على بعض النصوص المتوالية من اسفار الديانات الشرقيّة الآتية اعني الهنديّة والفارسيّة والبوذيّة والبابليّة والاسلاميّة س . د

Pierre de Clorivière, Contemporain et juge de la Révolution, Introduction de René Bazin de l'Académie française, 1 *vol.*, *in*-12, *Paris*, 1926, *de Gigord*

بطرس دي كلوريفيار معاصر الثورة الفرنساوية ومنتقدها

بطرس دي كلوريفيار احد مشاهير الرهبانيّة اليسوعيّة في فرنسة كان ترهّب

قبل الثامنة عشرة وحضر كلّ ادوار الثورة الفرنساويّة ثمّ عاد الى رهبانيّته لمّا احياها البابا بيوس السابع فكان احد اركان نهضتها . وقد عاش هذا الاب في ايّام الثورة الفرنسويّة ملازماً المنزلة يخدم القريب بما امكنه من الغيرة والنشاط . وقد كتب في تلك الثورة فصولاً شائقة بيّن فيها منشأها وخفاياها وغايتها ان تبيد كلّ سلطة دينيّة ومدنيّة . وهذه الكتابات من افضل ما كُتب في هذا الشأن . على انها بقيت لم تزل مخطوطةً فتولّى نشرها الطبّاع دي جيغور وقدّم عليها الكاتب النابغة رينه بازن مقدّمةً طويلة في ٧٢ صفحة وصف فيها ترجمة محرّرها وصحّة نظره في كلّ ما يختص بالثورة الفرنسويّة التي لا تزال مساوئها بادية الى يومنا في عواقبها ج . ل

E. Sainte-Marie Perrin : PAULINE JARICOT, fondatrice de la Société pour la Propagation de la Foi (1799-1862). 1 vol. in-12, *Paris 1920, de Gigord*

بولين جاريكو منشئة شركة انتشار الايمان

انّ الله كثيراً ما يختار لاعماله الخطيرة اشخاصاً ضعفاء لتظهر بهم قوّته الالهيّة . وهذا ما يلوح جليّاً في ترجمة تلك الفتاة الفرنساويّة العجيبة المكرّمة بولين جاريكو التي انشأت مع قلّة ذات يدها شركةً هي اليوم اعظم سند للمرسلين الكاثوليكيين في كلّ جهات المعمور . وقد سرّت ترجمة هذه الآنسة الشهيرة في بعض اعداد المشرق (١٥[١٩١٢]: ١٧٣ــ١٨٨) . فمن راجعها لا يتمالك من الاندهاش ممّا مارسته تلك الفتاة من سموّ الفضائل وما اضطرم به قلبها من الغيرة لخلاص النفوس حتى انها تفانت في مساعدة غير المؤمنين وكابدت لذلك آلاماً مبرّحة فلم تخمد همّتها الى ان فازت بمرغوبها . والامل في اعلان قداستها قريباً . والكتاب الحاضر لكاتبة فاضلة احبّت ان تخلّد ذكر احدى بنات جنسها ووطنها بتأليف ترجمتها المطوّلة

Antony Babel: LA BESSARABIE, étude historique, ethnographique et économique, 1 vol. in-8°, 6 *Cartes horse texte, librairie F. Alcan, Prix 30 f*

مقاطعة بسارابية

بسّارابية بلاد منسوبة الى رجل يعرف باسم بسّاراب (Bessarab) انشأت منه سلالة كان ظهورها في اواخر القرن الثالث عشر وأطلق اسمها على بلاد كان موقعها اوّلاً جنوبي مولداقيا لمّا استولى عليها الامير اسطفان الكبير في القرن الخامس عشر . وقد صارت في السنة ١٨١٢ احدى مقاطعات روسيّة اذ بسطت عليها سلطتها

وخصّتها بهذا الاسم . وكانت تطلقه على كلّ البلاد الواقعة بين نهرَي دنيستار (Dniester) وبروت(Prouth) . فهذه الاختلافات تجعل شيئاً من التشويش في تعريف تلك المقاطعة وحدودها . فمؤلف هذا الكتاب سعى بازالة كلّ التباس بما نشر في الكتاب من الخرائط . ثمّ سعى بوصف تاريخ بسارابية راقياً الى العهد الروماني . فوجدنا كتابة دالّاً على علم واسع عميق يشهد لكاتبه بكل صفات المؤرخين ج . ل

E. Schneider: Promenades d'Italie. 1 *vol. in*-16, *Paris, B. Grasset*, *Prix* 12 *fr*

سياحة في انحاء ايطالية

قد تحاشى مؤلف هذا الكتاب كل غاية سياسيّة واجتماعيّة . وانّما خصّ نظره بما تحتويه ايطالية من المشاهد الفتّانة ووصف مشاهير البلاد وآثارها الجميلة . فهو يجيء بقلمه السيّال كلّ ما يمسّه من المواضيع فكأنّه باوصافه مصوّر فنّي اكثر منه كاتب بليغ

Asad J. Rustum: The Struggle Mohomed Ali Pasha with Sultan Mahmud II, *Beyrouth*, *American University*, 1926, *pp.* 32

النزاع بين محمد علي باشا عزيز مصر والسلطان محمود الثاني

هي نبذة مستحسنة لصديقنا الاستاذ اسد رستم بحث فيها عن اسباب الخلاف الواقع بين مصر والاستانة في ايام العزيز محمد علي فكان سبباً لحملة المصريين على برّ الشام وحكم ابراهيم باشا على سوريّة . فهناك بعض امور غامضة سعى جناب الكاتب بكشف معناها استاداً الى ما لقيه من الآثار الجديدة التي نشر بعضها في نبذة سبق لنا وصفها (ص ١٣١) من تحصينات عكّا . وقد قدّمها مع المؤتمر الاثري في بيروت وفلسطين ل . ش

ܡܫܝܚܐ ܡܠܟܐ — المسيح الملك — Le Christ Roi

في طقوس الكنيسة السريانيّة المارونيّة

تأليف الخوري بطرس غالب (المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٦)

نعمّ الاسم «المسيح الملك» فانّه بكل معناه يصدق على ذاك الذي دعاه القديس بولس (١ تيم ٦ : ١٥) : «وحده ملك الملوك وربّ الارباب الذي له وحده الخلود» وسبقه الانبياء الى ذلك فكلهم يعترفون المسيح بالملك . ولا عجب ان تُردّد صداه طقوسنا الشرقيّة فتعظّم ابن الله بصفته ملكاً . وكتاب حضرة الخوري بطرس غالب شاهد صريح على ما تتضمّنه من ذلك طقوس الكنيسة السريانيّة المارونيّة فافاد بجمع نصوصها وأجاد . ومن هذا يلوح لمَ اصاب الحبر الاعظم بانشاء عيد خصوصي

للمسيح الملك فلبّي دعوتهُ العالم الكاثوليكي شرقاً وغرباً - فمتى هـذا الملك ينشر سلطانهُ على كل قلوب البشر فيبسط عليها نيرهُ اللين وحملهُ الخفيف

كتاب سبيل السعادة

اقتطفهُ عن الافرنسية من تأليف الاب برتيه

القس الياس البكيناوي رئيس دير الناعمه اللبناني (مطبعة الاجتهاد ١٩٣٦ ص ٣٨٣)

انَّ تآليف الاب برتيه الدينية كلها موسومة بسمتيّ التقى والعلم. وقد سبق لنا في المشرق (عدد آب ص ٣٢٩) ذكر كتاب آخر لهذا الكاتب البارع دعاهُ كتاب الجميع. وسبيل السعادة مثلهُ فائدةً جملهُ مؤلّفهُ على قسمين كبيرين مضمون الاوّل البواعث على محبة الله والثاني الوسائط التي تؤدي بنا الى الحصول على محبتهِ تعالى وممارستها. وينقسم القسمان الى ابواب وفصول ومسائل متعدّدة ترشد النفوس الصالحة الى اعلى درجات القداسة باتحادها مع الله ينبوع كل قداسة وكمال. فنشكر حضرة الاب المعرّب لهذا الكتاب النفيس ونتمنى لهُ اعظم رواج. ويا ليتهُ كان قدّم عليهِ ترجمة المؤلف الذي يُعدّ بين مشاهير الكتبة ل. ش

ترجمان الافكار او رسائل الاشواق

تأليف يوسف صفير صاحب مكتبة المدارس في بيروت

طُبع في مطابع قوزما بيروت ودمشق سنة ١٩٣٦ ص ١٦٠

لم يُكتب هذا الترجمان لاحداث المدارس وانّما وُضع للشبيبة الذين ناهزوا عهد الزواج فيرغبون في الحرص على آدابهِ وفي الحياد عن كلّ معايبهِ فيلزمون الطريقة المثلى. فجمع المؤلف عدداً عديداً من هذه المكاتبات التي تدور بين الشبان والاوانس تنطق بالوداد وتتحاشى كلّ بذاء. ومع هذا نرى في هذه الكتابات الغرامية خطراً على بعض الشبان اذ تشغل فكرهم وتهيّج قلبهم بالحب الباطل. ويا حبذا لو تجري هذه المراسلات علانيةً ليس خفيةً يطلع عليها الوالدون فتبقى في حدود اللياقة والحشمة

المنتخبات : ١ المنتخبات الطقسية

للقس يوسف كوكي الكلداني

طُبع في البصرة في مطبعة المثل الكاثوليكي سنة ١٩٣٦

لاتزال طقوسنا الشرقية محتاجة الى دروس عميقة لتعريف اصلها ومؤاتيها ومعانيها

ثم معارضة بعضها على بعض بياناً لوحدة تعاليم الكنيسة في اجيالها الاولى ولما دسَّتهُ البدع فيها اثباتاً اضلالها . وهـذه المنتخبات التي يردّ فيهـا المؤلف على بعض مزاعم المتقدين على الطقس الكلداني من شأنها ان تساعد الباحثين على تلك الطقوس فنوصي كهنتنا بطالعتها

ل . ش

جمعية الامم والانتدابات

لرأفت افندي شفيق شنبور

طُبع في طرابلس الشام سنة ١٩٣١ (ص ١٧٦)

سبق لنا وصف عدّة كتب فرنسويَّة كُتبت في جمعية الامم والانتـدابات . ولم ينشر في ذلك بلغتنا العربية إلّا فصول مفردة منها للاديب المحامي اميل تيّان (في المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٧٥٤ــ٧٦٨) وللشيخ سليم افندي الدحداح (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٤٥٤ــ٤٦٢) . وها هوذا كتاب واسع في هذا الشأن فصّل فيه مؤلفه كل ما يختصّ بهذا الامر استناداً الى المنشورات الرسميَّة او الخاصة التي وقف عليها مع تطبيق اصولها على الانتداب الفرنساوي في سوريا ولبنان . وكان زاد فضل كتابه لو ختمهُ بفهرس للوقوف على ابوابهِ وفوائدهِ

ل . ش

تاريخ الجمعيات السرّيَّة والحركات الهدّامة

ألَّفهُ محمد عبدالله عنان المحامي

طُبعت بنشره ادارة الهلال بمصر

هذا موضوع متَّسع الارجاء عميق الغور كتب فيه الاوربيون كثيراً من التآليف . وقد اختار محمَّد افندي عبدالله عنان ليوقف على حقيقة الامر اهل اوطاننا وقد اعدته مجلة الهلال مشتركيها . قراءنا هذا الكتاب ورأينا صاحبهُ معتمداً على كثير ممَّا نشر الاختصاصيُّون منصفاً في الغالب باحكامهِ من الجمعيَّات السرّيَّة لا يخاف مَن ان يعزو اليها آثام فظيعة كانت تآمرت على اجتراحها في محافلها السرّيَّة . ويقرّ بانهـا هي العاملة الكبرى في محاربة الاديان وقلب عروش الملوك ومعارضة السلطة الشرعيَّة . ولم ينس جناية الشيعة الماسونيَّة وعلاقتها مع الثورة الفرنسويَّة والفتن التي حدثت في انحاء اوربَّة . فكم يفوق كتابهُ من هذا القبيل على ما نشرهُ الفرمسون لتبرير شيعتهم وهو اشبه بروايات الف ليلة وليلة منهُ بالحقّ كتاريخ الماسونيَّة لجرجي زيدان

ومنشورات شاهين ابكاريوس وصاحب مجلة المعارف الخ. على أنّنا مع اقرارنا باعتدال الكاتب لا نسلّم له بكل ما نقله عن بعض المصادر غير الوثيقة كقوله مثلاً (ص ١٥٦) «انّ البابا لاون الثاني عشر انشأ لمحاربة الماسونيّة جمعيّة سرّية كاثوليكية تؤلف من ابناء البلاد وكبار القسس . . . واعظم دعاتها اليسوعيون» فان هذا الخبر لا صحّة له. وغير ذلك مما لا يسعنا ذكرهُ لضيق المجال. وهذا الكتاب لا يستغني عن فهرس واسع غفل عنهُ المؤلف ل. ش

الوضيمة في الحكمة الخلقية: الكتاب السابع: الهوى. الكتاب الثامن في الحبّ البشري تأليف الدكتور سليمان غزاله نائب البصرة

طبع في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٦ (ص٨٦و١٢٦)

يتابع جناب الدكتور غزاله ابحاثهُ الثلاثيّة الاجتماعيّة تحت هذا العنوان العام «الوضيمة في الحكمة الخلقيّة». فبعد كلامهِ عن تاريخ الحرّية في الكتاب السابع، ها هو يخصّ بدرسهِ ميلَين من اميال القلب البشري الواحد اعم وهو الهوى والثاني اخص وهو الحبّ البشري. ولكليهما مصادر ووجوه وفروع تستدعي احكاماً مختلفة على حسب ما يقيّدها الانسان بأصالة التمييز وصواب الرأي واعتدال الارادة. وقد احسن المؤلف في انتقادهِ لهذه الاميال واستباحهِ لما يخرج عن تلك الخطة الحكيمة. ومما تفرّد بهِ جنابهُ تطبيقهُ بين معلوماتهِ الطبيّة وأحكامهِ الفلسفيّة الرشيدة ل. ش

نور واغاثة

كتاب ادبي صحّي جمع جرجي نقولا باز

طبع بمطبعة السلام في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٨٦)

بين المشروعات التي تزين بيروت وتكسبها نعمةً عند الله وفخرًا عند الناس اعمالها الخيريّة العديدة كالمستشفيات والمياتم والملاجئ. منها الملجأ الصحّي التدرّني الذي انشأتهُ جماعة من اهل الخير وجعلت شعارهُ «نور واغاثة» فسعى اولئك المحسنون بملاجئ او مساعدة المصابين بهذا الداء العضال طاقة جهدهم جازاهم الله كل خير. وقد عُقدت مؤخرًا حفلة حضرها كثيرون فوقفوا على اعمال اولئك المحسنين ومبرّاتهم وآزروهم بالهم. وقد تُليت في تلك الحفلات خطب وقصائد ومقالات طبيّة حسنة في

داء السلّ جمعها صديقنا الاديب جرجي افندي نقولا باز في هذه الكرّاسة اللطيفة التي نتمنى ان تتداولها الايدي فتجود نحو اولئك البائسين بحسنات وافرة

الشبح الهائل او انقاذ الامير

رواية تمثيلية ذات ثلثة فصول تعريب الخوري مارون غصن

طُبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٦٨)

كان حضرة المؤلف اتحف قرّاء المشرق بتعريبهِ «رواية الكاهن او انتقام شريف» وها هوذا اليوم يهدي المدارس والمسارح الادبية رواية أُخرى عرّبها بقلمهِ. وهي كالرواية السابقة حسناً وتأثيرًا في القلوب قد دبَّجها بنثرهِ البليغ وبنظمهِ الرائع. ومع شكرنا لحضرتهِ نقترح عليهِ وضع روايات وطنية تُستخرج من تواريخ شرقنا المدنية والدينية فيكون لها موقع اعظم في النفوس وتتم بها فائدة الاقتداء على وجه وفق لتشابه الجنس وقد قيل كلّ طير يأوي الى جنسهِ ل. ش

بيروت تاريخها وآثارها

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (ص ١٦٣)

هو الكتاب الذي ظهرت فصولهُ متفرقة في اعداد المشرق في السنتين ١٩٢٥ — ١٩٢٦ ضمَّناهُ كل ما وقفنا عليه من اخبار عاصمة لبنان منذ اوَّل ورود ذكرها في التاريخ الى زماننا مع ما ينوط بها من آثار ومشروعات جليلة ومفاخر شتى. وقد زدنا على هذه الطبعة المنفردة اربعة فهارس للوقوف بسرعة على ما يطلبهُ الباحثون من المعلومات. والكتاب مزدان بسبع صور ل. ش

شذرات

﴿القديس يوحنا الصليبي ملفان الكنيسة﴾ نهني. الرهبانية الكرملية بما نالتهُ من الشرف باقامة القديس يوحنا الصليبي مصلح رهبانيتهم كلفان للكنيسة. وهو امتياز كانت جماعتهم لم تنلهُ كالرهبانيات الكبرى. وقد سبق لنا ذكر القديس كانيزيوس اليسوعي الذي عيَّنهُ حديثاً الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر كلفان للكنيسة

جماه . وكان مولده في اسبانية سنة ١٥٤٢ ووفاته فيها سنة ١٥٩١ . وقد اشتهر يوحنا الصليبي في زمانه بقداسته السامية وباصلاحه للرهبانية الكرملية مع القديسة تريزيا . وكان هذا القديس فيلسوفاً ولاهوتياً وشاعراً وقد ألف كتباً عديدة في الحياة الروحية واسرارها الراقية المبلغة للنفس الى اعلى ذروة القداسة ومحبة الله . فتعدّ تآليفه من اجل وادق وارق ما كُتب في ذلك ومجموعها يبلغ مجلدات ضخمة فاستحق ان ينتظم في عداد ملافنة الكنيسة ومعلميها

﴿ مقالة الرئيس الدكتور ضودج في القديس فرنسيس الاسيزي ﴾ قرأنا بارتياح المقالة التي خصصها رئيس الجامعة الاميركية الدكتور ضودج بالقديس فرنسيس الاسيزي في مجلة «الكلية» ولعلها اول مقالة كتبها احد اعضاء البعثة الاميركية في سورية ذكراً لاحد قديسي الكنيسة الكاثوليكية فنشكر حضرته على انصافه كما فعل تشسترتن وبعض الكتبة البروتستانت في انكلترة واميركة الذين اطرأوا اعمال ذلك الرجل الكبير . على انا وجدنا المقابلة بينه وبين حامد الغزالي بعيدة . وكذلك لا نسلّم لجنابه بما قاله (ص ٩) من «نفور سكان ايطالية من ممارسة الطقوس الدينية» . والدليل عليه ان القديس فرنسيس عزز تلك الطقوس وزادها رونقاً . وكذلك (ص ١١) لم يكن هونوريوس الثالث «ملكاً» لكن حبراً اعظم وليس هو جامع الصليبيين في مصر . وهناك غلوّ ظاهر في نسبته للحروب الصليبية للبغضة ثم ان الصليبيين لم يُدفعوا اليها بعامل البغضة لاعدائهم وانما دُفعوا بعامل المحبة لاخوتهم ولانقاذ الاراضي المقدسة وهذا من باب العدل لا من باب البغضة . ومثله غلواً (ص ١١) قوله «وربّما لم يقم واحد اوربي عاش العيشة المسيحية الحقة . مثل فرنسيس» . فانّ في الكنيسة الكاثوليكية «الوفاً عاشوا العيشة المسيحية الحقة» وان لم تكن طريقتهم كطريقة القديس فرنسيس فانّ القداسة السامية ليست على طريقة واحدة بل تلوح على صور شتى . ثم في اقوال جنابه (ص ١٥) «على الطقوس الدينية ورسومها وعن كون الديانة تتعلق بالقلب لا بالعقل» ما يشعر بالمزاعم البروتستانية التي تنقض المعتقدات والآداب الكنسية وتحصر الديانة بمشاعر القلب والاعمال الخيرية خلافاً لتعاليم المسيح ورسله

﴿ تطرّف بعض المجلات ﴾ يسوءنا ما نراه في بعض المجلات من المزاعم الباطلة التي يعرضها الكتبة لقرّائهم فتضلّهم عن الحق . فهذه ﴿ مجلة الحارس ﴾ قد كتب

صاحبها في اوّل سنتها الرابعة فصلاً عن الحكم الجمهوري مثّل فيهِ ملوك القرون الوسطى وما بعدها كأكبر ظالمي البشريّة ونسب اليهم من الاعمال الهمجيّة ما لا نكاد نجدهُ في اشرس الظلمة واستند في ذلك الى اسانيد تبيّن اليوم زورها وفسادها كالذي قالهُ عن حقوق السيد وغيره فاستقاه من موارد عكرة كاذبة. وكذلك لم نستحسن ما كتبهُ صديقنا فيليب افندي حتي «في مجلة العالم الجديد» (حزيران ص ٨) حيث كتب عن الانسان الفطري الاول انهُ «قضى مئات آلالاف من السنين (كذا)وهو لا يتكلم» فجعل الانسان في طبقة البهائم العجماء في كل تلك المدة وهو رأي غريب لم يقل بهِ احد من كبار العلماء حتى الدروينيين وقد اكتفت (مجلة العرفان ت ١ ص ١٢٦) باحصاء ثلثين الف سنة لوجود آثار النسل الاول وتقول هناك ص ١٤٠) انّ الانسان في ذلك العهد كان اذكى من اليوم — ومن مزاعم «مجلة الهلال» الفاسدة ما كتبهُ مديرها (ص ١٢٩) عن النبيّ ايليا والمعجزة الباهرة التي ورد ذكرها في سفر الملوك الثالث (١٨ : ٢٢ — ٣٩) اذ انزل ناراً من السماء فالتهمت المحرقة التي قدّمها على مذبح اقامهُ امام الشعب. فزعم صاحب الهلال ان الماء الذي صبّهُ ايليا على الحطب كان بترولاً قوّى بايقاده على الحاضرين. فانظر رعاك الله الى ايّ حدٍ من الترهات يبلغ بعض كتبتنا فينقضون اركان الدين وهم يتظاهرون بالعلم. وكل يعرف ان اكتشاف البترول ومعرفة خواصهِ حديث العهد !!

«غبطة بطريرك الروم والماسونيّة» اوقفتنا مجلة المسرّة في عدد نوفمبر الاخير (ص ٥٦٢) على رسالة وجّهها غبطة البطريرك غريغوريوس الى اهل حمص ينفي عنهُ ما نسبوهُ اليهِ زوراً من انتمائهِ الى الماسونية بعد اقامتهِ عليهم اسقفاً الشماس ابيفانيوس زائد مختار الحزب الماسوني فما قال في رسالتهِ :

« قد قلنا بصراحة اننا لسنا من ابناء الظلمة وغيهل ابناءها . وكل من يدخل هذه المداخيل المموّهة فانهُ يحمل اثمهُ على عاتقهِ لدى الربّ الديّان العادل . وان كنتُ انا من ابناء هذه النسبة التي نسبتموني اليها فليحلّ بي غضب الربّ وتظهر فيّ قدرتهُ لاكون عبرة لبني الايمان . . . »

فما قول الروم الاورثذكس الداخلين في الماسونية !

«فقيدٌ عزيز» هو الاب اليسوعي بولس مطا الله المرسل النشيط والعامل الغيور في حقلة كرم الربّ. تغمّدهُ الله برحمتهِ في ٣١ تشرين الاوّل وعمرهُ ٧٢ سنة قضى منها ٤٨ سنة في خدمة الله وتقديس النفوس

س سأل الاديب شكري التلاييني من هو مؤلّف الصلاة الى الروح القدس التي تُتلى في كتب الصلوات الصلاة الى الروح القدس

ج للروح القدس صلاتان معرَّبتان من اللاتينيَّة تُقالان يوم عيد العنصرة: الاولى ادوار شعريَّة تبتدئ بهذه الالفاظ Veni Creator Spiritus اي هلمَّ ايها الروح الخالق تُنسب للامبراطور كارلوماني (Charlemagne) في القرن التاسع للميلاد · والثانية بالنثر اوَّلها Veni Sancte Spiritus et emitte cœlitus lucis tuæ radium اي هلمَّ ايها الروح القدس وارسل من السماء شعاع نورك · ألّفها في القرن الثالث عشر البابا اينوشنسيوس الثالث

س وسأل جناب الحكيم امين افندي الجميّل أصحيح ما يقولهُ البعض من الذُرَة ان اصلها في بلادنا من اميركة الذُرَة واصلها

ج الذُرة اسم كان يطلق قديمًا على نباتات مختلفة توافق ما يدعوهُ الفرنج بهذه الاسماء (Sorgho, Epeautre, Millet) · وفي كتب العرب كابن بيطار وغيره الذين يذكرون الذُرَة قبل فتح اميركة ما ينطبق على هذه الانواع المذكورة · اما النوع المعروف عند الفرنج باسم Maïs ويدعوهُ البعض في بلادنا بالذرة البيضاء او بالذُرة الصفراء بالفرنسوية (blé d'Espagne, blé de Turquie) فالاصحّ انَّ اصلهُ من اميركة دخل اوَّلًا في بلاد اسبانية ثمَّ انتشر منها الى كل البلاد

س وسأل احد كهنة السريان : هل للقديس مارونا صلوات وتسابيح طقسيَّة وشروح على الاناجيل القديس مارونا وتآليفهُ

ج قد التبس على كثيرين (منهم السمعاني في المكتبة الشرقية ١ : ١٧٤) اسم رجلين اشتهرا باسم مارونا عاشا في ازمنة مختلفة احدهما القديس مارونا اسقف مدينة ميافارقين المعروفة بمدينة الشهداء في جهات ديار بكر لان القديس مارونا جمع فيها ذخائر الشهداء الذين استشهدوا في بلاد فارس على عهد سابور · وقد عاش هذا القديس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس للمسيح ولهُ ميمران بليغان في ذكر شهداء فارس نشرهما المرحوم الاب بولس بدجان اللعازري في كتابهِ اعمال الشهداء (ج٢ ص٥٧) · اما مارونا الثاني اسقف تكريت فعاش في القرن السابع وكان يعقوبيًا لهُ عدَّة تآليف منها شروحة على الاناجيل ومنها تآليف طقسيَّة دخلت في فروض السريان والموارنة · كانت وفاة مارونا هذا سنة ٦٤٩م ل · ش